بيلار كينتانا

الكلبة

ترجمة

أحمد محسن

ضاد
t.me/twinkling4

الكلبة

بيلار كينتانا

ترجمة: أحمد محسن

عنوان الكتاب بلغته الاصلية

La Perra

ترجمة عنوان الكتاب بالانكليزية

The Bitch

By Pilar Quintana

Translated by Ahmad Mohsen

الطبعة الأولى: يونيو ـ حزيران، 2023 (1000 نسخة)

تمت ترجمة ونشر هذه الرواية «*الكلبة*»، بالاتفاق مع الوكالة الأدبية «ماسّي ومكويلين» نيويورك/ الولايات المتحدة الاميركية

This Book «La Perra» was Translated & Published by arrangement with «MASSIE & McQUILKIN Literang Agents» New York/USA

Copyrights@Pilar Quintana, 2017

Arabic Translation Copyrights@Dar Al-Rafidain2022

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة/ All Rights Reserved

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافةً نابضةً بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخةً أصليةً من هذا الكتاب ولاحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أيٍّ من أجزائه بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتّاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب.

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة: أشرف غالب. لصالح: مكتبة ضاد

بغداد ــ العراق/ شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: +9647811005860/+9647714440520

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar ALRafidain دار الرافدين

daralrafidain
dar.alrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 691 - 03 - 9

مكتبة ضاد
t.me/twinkling4

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَــاد، الإلكترونية. ©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:
أشرف غالب.

قالت السيدة إلوديا وهي تشير إلى موضع على الشاطئ اجتمعت فيه القمامة التي كان البحر يحضرها أو يُظهرها: جذوع أشجار، وأكياس بلاستيكية، وزجاجات:

ـ وجدتُها هذا الصباح هنا، على ظهرها.

ـ مسمومة؟

ـ أظن ذلك.

ـ وماذا فعلوا بها؟ هل دفنوها؟

أشارت السيدة إلوديا أن نعم برأسها:

ـ أحفادي.

ـ في المقابر بالأعلى؟

ـ لا، هنا على الشاطئ ليس أكثر.

يموت الكثير من كلاب القرية مسمومًا يظن بعض الناس أنهم يقتلونها عمدًا، لكن داماريس لا تستطيع تصديق أن هناك أشخاصًا قادرين على فعل شيء كهذا، وتظن أن الكلاب تأكل بالخطأ الطُعم المسموم الذي يتركونه للفئران، أو الفئران التي كانت سهلة الصيد وهي مسمومة.

قالت داماريس:

ـ قلبي عندك.

أومأت السيدة إلوديا برأسها. كانت لديها هذه الكلبة لوقت طويل. كلبة سوداء كانت تقضي وقتها ممدَّدة جوار الحانة، وتسير خلفها إلى كل مكان: الكنيسة، وبيت زوجة ابنها، والمحل، والمرسى لا بد أنها كانت شديدة الحزن، لكنها لم تُبدِ ذلك تركت الجَرْو الذي أطعمته لتوِّها بحقنة تملؤها باللبن من زجاجة، وأمسكت بآخر كانوا عشرةً، وكانوا صغيرين لدرجة أنهم لم يفتحوا عيونهم.

قالت السيدة إلوديا:

ـ عمرهم ستة أيام.

ثم أردفت:

ـ لن يصمدوا.

لقد كانت عجوزًا منذ تشكلت ذاكرة داماريس تلبس نظارات زجاجية سميكة تكبِّر عينيها، وكانت بدينة أسفل خصرها، قليلة الكلام، تتحرك ببطء، وتحتفظ بهدوئها حتى في أكثر أيام الحانة ازدحامًا، عندما يكون هناك سكارى وأطفال يجرون بين الطاولات لكن العبء يبدو عليها الآن.

قالت داماريس:

ـ لماذا لا توزعينهم؟

ـ لقد أخذوا واحدًا، لكن لا أحد يريد الكلاب بهذا الصِغَر.

بما أنها كانت أيام موسم منخفض، لم يكن في الحانة طاولات ولا موسيقى ولا سيّاح ولا أي شيء، ليس إلا المساحة الفارغة التي بدت الآن

شاسعة، والسيدة إلوديا جالسة على دكّة، والجراء العشرة في صندوق من الكارتون. نظرت إليهم داماريس بعناية حتى وقع قرارها على واحد. قالت:

ـ هل يمكنني أخذ هذا؟

وضعت السيدة إلوديا في الصندوق الكلب الذي أطعمته لتوّها، وأخذت الذي أشارت إليه داماريس، كان ذا شعر رمادي وأذنين متساقطتين، ونظرت إليه من الخلف، ثم قالت:

ـ إنها أنثى.

حين ينحسر البحر، يصبح الشاطئ شديد الاتساع. عراء من الرمال السوداء التي تبدو طينًا. وحين يعلو، تغطي المياه الشاطئ كله، وتأتي الأمواج بالأشجار، والفروع، والبذور، والأوراق الميتة من الغابة، وتخلطها بقمامة الناس أتت داماريس من زيارة خالتها في قرية أخرى تقع في الأعلى، في أرض ثابتة، بعد المطار العسكري كانت تلك القرية أكثر تطورًا، بها فنادق ومطاعم مبنيَّة بالخرسانة توقفت عند بيت السيدة إلوديا صدفةً، حين رأتها مع الكلاب الصغيرة، والآن كانت في الطريق إلى بيتها على الطرف الآخر للشاطئ بما أنها لم تملك شيئًا تضع فيه الكلبة، فقد حملتها على صدرها كانت في حجم يديها، وتفوح برائحة اللبن، وتجعلها تشعر برغبة شديدة في عناقها بقوة، والبكاء.

كانت قرية داماريس شارعًا طويلًا من الرمال المحصورة بين بيوت على الجانبين. البيوت عشوائية، وترتفع عن الأرض على أوتاد من الخشب، بحوائط من الألواح، وأسقف سوداء من العفن. خافت داماريس بعض

الشيء من ردة فعل روخيليو حين يرى الكلبة. إنه لا يحب الكلاب، وإن ربّاها فذلك ليس إلا لتنبح وتحرس المكان. الآن لديه ثلاثة: دانجير، وموسكو، وأوليبو.

دانجير، الكبير، كان يشبه كلاب فصيلة اللابرادور التي يستخدمها العسكريّون لتشتَمَّ القوارب وأمتعة السيّاح، لكنه كبير الرأس ومربَّع ككلاب البيدبول التي توجد في فندق الباسيفيكيو ريال في القرية الأخرى. كان ابن كلبة للمرحوم خوسويه، وهو الذي كان حقًّا يحب الكلاب. كان يملكها لتنبح، لكنه كذلك يعطف عليها ويدرِّبها لتصحبه في الصيد.

حكى روخيليو أنه يومًا وهو يزور المرحوم خوسويه ابتعد جروٌ -لم يكمل شهرين بعدُ- عن بقية الجراء لينبح عليه عرف أن هذا هو الكلب الذي يحتاجه أهداه إليه المرحوم خوسويه، وسمّاه روخيليو دانجير، وهو يعني الخطر كبر دانجير ليتحول إلى ما كان يعد به، كلب غيور وغاضب حين يتحدث روخيليو عنه يبدو أنه يحس بالاحترام والإعجاب، لكن في تعامله لم يكن يفعل شيئًا أكثر من إفزاعه، والصراخ فيه «يَعْ!»[1] ، ورفع يده لكي يتذكر كل المرات التي ضربه فيها.

كان من الواضح أن موسكو عاش حياة بائسة وهو جرو. كان صغيرًا، ونحيفًا، ومرتعشًا.

ظهر يومًا في المِلك، وبما أن دانجير قَبِلَه، فقد بقي ليعيش هنا جاء بجرح في ذيله، وأصيب الجرح بالعدوى بعد أيام وحين أدركت داماريرس

[1]- صوت يستخدم في العامية المصرية ليعبر عن إحساس قائله بالقرب، وهو مقابل للكلمة المستخدمة في الأصل (المترجم).

وروخيليو، كان الجرح قد امتلأ بالديدان، وبدا لداماريس أن ذبابة خرجت منه تطير مكتملة التكوين قالت:

ـ أرأيت؟

لم يكن روخيليو قد رأى شيئًا. وحين شرحت له داماريس قهقه ضاحكًا وقال إنهم وجدوا أخيرًا اسمًا لهذا الحيوان. وأمره:

ـ الآن ابق هنا ساكنًا، موسكو[٢] يا ابن العاهرة.

أمسك به من طرف ذيله، ورفع منجله، وقبل أن تتمكّن داماريس من فهم ما سيفعله، قطع ذيله بضربة واحدة عاويًا خرج موسكو ليجري ونظرت داماريس إلى روخيليو في رعب رفع هو -وما يزال الذيل عاجًّا بالديدان في يده- كتفيه، وقال إنه لم يفعل ذلك إلا ليوقف العدوى، لكنها اعتقدت دائمًا أنه استمتع بالأمر.

أصغرهم، أوليبو، ابن دانجير وكلبة الجارات، كلبة من فصيلة اللابرادور لها لون الشوكولاتة، كانت الجارات يقُلْن إنها نقيّة السُلالة يشبه أوليبو أباه، على الرغم من أن شعره أطول ولونه أقرب إلى البنِّي هو أكثر الثلاثة شراسة لم يكن أيٌّ منهم يقترب من روخيليو، وجميعهم يحذَرُون الناس، لكن أوليبو لا يقترب من أحد، وكان شديد الحذر حتى أنه لا يأكل إن رأى أحدًا على مرمى البصر تعرف داماريس أن سبب ذلك أن روخيليو يستغل وقت أكلهم ليأتي إليهم دون أن ينتبهوا وينهال عليهم بالسياط بعصا

[٢]- كلمة ذبابة في الإسبانية «موسكا» قريبة صوتيًا من كلمة «موسكو» اسم الكلب، وقد تُعتبر تذكيرًا لها. (المترجم).

رفيعة من الجوادوا[٣] لديه فقط لهذا الغرض يفعل ذلك إذا أحدثوا ضررًا ما، أو بلا سبب، فقط للَّذة التي يمنحه إياها ضربهم. بالإضافة إلى ذلك كان أوليبو خائنًا: يعضُّ دون نباح ومن الخلف.

قالت داماريس لنفسها إن الأمر مع الكلبة سيكون مختلفًا.

إنَّها كلبتها، وهي لن تسمح أن يفعل بها روخيليو أيًا من هذه الأمور، ولن تتركه حتى ينظر لها بسوء. حين وصلت إلى محل السيد خايمي أرته إياها. قال هو:

ـ ما هذا الشيء شديد الصغر!

ليس في محل السيد خايمي سوى طاولة مغطاة بالزجاج وحائط، لكنّه يمتلئ بالبضائع جيِّدًا حتى أنَّ فيه من المواد الغذائية إلى المسامير. كان السيد خايمي من داخل البلاد، وقد جاء ولا شيء معه حين كانوا يبنون القاعدة البحرية، وارتبط بامرأة سوداء من القرية أكثر منه فقرًا. قال بعض الناس إنه حسّن من وضعه لأنه يمارس السحر، لكن داماريس تعتقد أنه حقق ذلك لأنه رجل طيب ومجتهد.

ذلك اليوم باع لها خضروات الأسبوع بالأجل، وخبزًا لفطور اليوم التالي، التالي، وكيس لبن بودرة وحقنة لإطعام الكلبة. وبالإضافة إلى ذلك، أهداها صندوقًا من الكارتون.

[٣]- الجوادوا: نبات من فصيلة البامبو يشبه القصب ويستخدم في البناء.

كان روخيليو رجلًا أسود ضخمًا مفتول العضلات، له وجه غاضب طوال الوقت. حين أتت داماريس بالكلبة، كان هو بالخارج ينظف محرك ماكينة تسوية العشب. لم يلتفت حتى لتحيِّتها. قال:

.كلب آخر؟ لا تظني أنني سأتحمل مسؤوليته.

أجابت هي:

.ومن طلب منك شيئًا؟

ثم أكملت سيرها نحو البناية.

لم تنفع الحقنة. لدماريس ذراع قوي لكنه أخرق، وأصابعها بدينة كبقية جسدها. كلما دفعت يصل مكبس الحقنة حتى النهاية وتخرج نافورة اللبن مندفعة من خطم الكلبة وتنسكب في كل مكان. لأن الكلبة لا تستطيع اللعق لا يمكن لداماريس أن تعطيها اللبن في وعاء، وقارورة الرضاعة التي يبيعونها في القرية للأطفال وكانت كبيرة جدًا.

اقترح عليها السيد خايمي أن تستخدم قطَّارة، وحاولت ذلك، لكن معدة الكلبة لا تمتلئ أبدًا وهي تأكل قطرةً قطرةً. لذلك خطر لداماريس أن تبلَّ الخبز باللبن وتترك الكلبة تمصّه. كان ذلك الحل: التهمته الكلبة بأكمله.

لم تكن البناية التي يعيشون فيها على الشاطئ، بل على جرف في الغابة حيث يملك سكان المدينة البيض بيوت راحة كبيرة وجميلة ذات حدائق، وأرصفة صخرية معبّدة، وحمّامات سباحة للوصول إلى القرية يجب هبوط سلالم طويلة ومنحدرة، كان عليهم -لكثرة الأمطار- أن يدعكوها باستمرار ليزيلوا الوحل عنها، ولكيلا ينزلق من يستخدمها. بعد

ذلك لا بد من عبور خليج صغير عبارة عن ذراع من البحر واسع وسريع التدفق كالنهر، يمتلئ ويفرغ بالأمواج.

كان البحر في تلك الأيام عاليًا في الصباح، ولهذا فلكي تشتري داماريس خبز الكلبة فعليها أن تستيقظ في الصباح الباكر، وتحمل المجداف من البناية، وتهبط السلالم وهي تحمله على كتفها، وتدفع الزورق من المرسى، ثم تضعه في الماء، وتجدّف حتى الجانب الآخر، ثم تربط الزورق بإحدى النخيل، وتحمل المجداف على ظهرها حتى بيت أحد الصيادين الذين يعيشون بجانب الخليج، وتطلب من الصياد أو زوجته أو أولاده أن يراقبوه. تسمع شكاوى وحكايات الجار، وتجتاز نصف القرية سيرًا حتى محل السيد خايمي. ثم تفعل نفس الشيء في طريق الرجوع، كل يوم، حتى تحت المطر.

خلال اليوم تحمل داماريس الكلبة في حمّالة صدرها، بين ثدييها الطريِّين والكريمين، لكي تبقيها دافئة. وفي الليل تتركها في الصندوق الكرتوني الذي أهداه إليها السيد خايمي، ومعها علبة ماء ساخن والقميص الذي لبسته ذلك اليوم لكيلا تفتقد رائحتها.

كانت البناية التي يعيشون فيها من خشب وفي حالة سيئة حين تضرب عاصفة القرية تهتز البناية مع الرعد وتتأرجح مع الريح، ويتسرَّب الماء من شقوق السقف ومن الصدوع في ألواح الجدران، ويبرد كل شيء وتنتشر الرطوبة، وتأخذ الكلبة في العواء منذ وقت طويل تنام داماريس وروخيليو في غرف منفصلة، وفي تلك الليالي كانت تنهض مسرعة، قبل أن يتمكن هو من قول أو فعل شيء تأخذ الكلبة من الصندوق وتظل معها في الظلام، تربِّت عليها، تموت من الفزع من انفجارات البروق وهياج

العواصف، شاعرة بضآلة نفسها، بأنها أصغر وأقل أهمية في هذا العالم من حبة رمل في البحر، إلى أن تكف الكلبة عن العواء.

كذلك كانت تربّت عليها في الصباح، وفي المساء، وبعد أن تنهي أعمال الصباح والغداء، وتجلس على كرسي بلاستيكي لتشاهد المسلسلات وهي تحملها على حجرها. وهي في البناية، كان روخيليو يشاهدها تمر بأصابعها على ظهر الكلبة، لكنه لا يفعل ولا يقول شيئًا.

أما لوسميلا فقد علّقت على الأمر يوم جاءت زائرة، رغم أن داماريس لم تحمل الكلبة في حمّالة صدرها في أي لحظة، بل أبقتها في الصندوق أطول وقت ممكن لوسميلا، بخلاف روخيليو، لم تكن تؤذي الحيوانات، لكنها تحتقرها، وهي من ذلك النوع من الناس الذي لا يرى في الأشياء سوى جانبها السلبي، ويظل ينتقد الآخرين.

كانت الكلبة تقضي وقتها في النوم. وحين تستيقظ، تطعمها داماريس وتضعها على العشب لكي تقضي حاجتها. أثناء زيارة لوسميلا استيقظت مرتين، وفي المرتين أطعمتها داماريس ووضعتها على العشب المبتل بالمطر الذي استمر ليلةً ونهارًا بأكملهما. ودّت داماريس لو لم ترَ لوسميلا الكلبة، ولا أن تعرف أنها لديها، لكنها ليست لتترك الكلبة تجوع أو تتَّسِخ. كانت السماء والبحر بقعة رمادية واحدة، والرطوبة في الهواء مرتفعة لدرجة يمكن فيها للسمك أن يظل حيًّا خارج الماء. ودَّت داماريس أن تجفف قدميها بفوطة وتفركها قليلًا بيديها لتدفئها قبل أن تعيدها إلى الصندوق، لكنها امتنعت عن ذلك لأن لوسميلا لم تتوقف عن النظر إليها باستهجان. قالت:

ـ ستقتلين هذا الحيوان بكثرة لمسه.

أوجع داماريس التعليق، لكنها ظلت صامتة. لم يستأهل الأمر الشجار. بعدها سألت لوسميلا بوجه متقزِّز ما اسمها، واضطرَّت داماريس أن تقول لها إنه: تشيرلي. كانتا ابنتي خؤولة، ونشأتا معًا منذ ولادتهما، ولهذا فكل واحدة تعرف كل شيء عن الأخرى.

ضحكت لوسميلا قائلة:

ـ تشيرلي كملكة الجمال؟ أليس هذا الاسم الذي كنت ستسمِّين به ابنتك؟

لم تتمكّن داماريس من الإنجاب. اجتمعت بروخيليو في الثامنة عشرة، وقضت معه سنتين حين بدأ الناس يقولون: «متى سيجيء الأطفال؟» أو «ماذا حدث جعلكما تتأخران؟». لم يفعلا أي شيء ليمنعا الحمل، وعندئذٍ بدأت داماريس في تناول مشروبات من عشبين من أعشاب الجبل، عشب مريم وعشب الروح القدس، التي سمعت الناس يقولون إنهما جيدان جدًّا للخصوبة.

في تلك الفترة كانا يعيشان في القرية، في حجرة مستأجرة، وهي تجمع الأعشاب من الجرف دون أن تطلب إذن أصحاب الأملاك. رغم شعورها بأنها لم تكن أمينة، فإنها اعتبرت تلك الأمور موضوعًا يخصها وحدها ولا أحد غيرها. كانت تحضر الأعشاب وتتناولها خفية، حين يخرج روخيليو لصيد الأسماك أو الحيوانات.

بدأ هو في الشكّ أن داماريس تفعل شيئًا، وتبعها كما يتبع الحيوانات التي يصطادها، دون أن تنتبه هي لذلك. حين رأى الأعشاب ظنَّ أنها أعشاب للسحر، فاعترض طريقها وواجهها غاضبًا، وقال لها:

ـ ما هذا الخراء؟ ماذا تفعلين؟

أمطرت السماء مطرًا خفيفًا، وكانا في قلب الجبل، في مكان شديد السوء قد قُطعت أشجاره لكي تمر أسلاك الكهرباء بدت جذوع الأشجار المتعفنة التي لم تزل قائمة كأنها شواهد قبور مهملة في مقبرة كان هو يلبس حذاء بلاستيكيًّا ذا رقبة، وهي -لأنها حافية- غطّى الطين قدميها. خفضت داماريس رأسها وحكت له الحقيقة بصوت خفيض. ظلَّ هو لوهلة في صمت. وقال لها أخيرًا:

ـ أنا زوجك. إنك لست وحدك في هذا.

منذ تلك اللحظة أصبحا يذهبان معًا لجمع الأعشاب وتحضير المشروبات، وفي الليل يناقشان الأسماء التي سيسمّيان بها أبناءهما. وبما أنهما لم يستطيعا الاتفاق على أي اسم، فقد قررا أن يختار هو أسماء الذكور وهي أسماء الإناث. أرادا أن ينجبا أربعة، ولعلهم يكونون زوجًا من كل جنس. لكن قد مر عامان آخران وأصبح عليهما أن يشرحا لمن يسألونهما أن المشكلة أنها لا تحمل. بدأ الناس في تجنب الموضوع، ونصحت الخالة خيلما داماريس أن تذهب لسانتوس.

رغم أن اسمها اسم ذكر، فقد كانت سانتوس امرأة، ابنة امرأة سوداء من منطقة التشوكو[٤] ورجل من السكان الأصليين من جنوب سان خوان. كانت على معرفة بالأعشاب، وتجيد التدليك، وتعالج بالسرِّ، بمعنى أنها تبتهل بكلمات وصلوات. فعلت لداماريس القليل من كل شيء وحين رأت أنها فشلت قالت لها إن المشكلة لا بد من زوجها وأرسلت إليه رغم أنه لوحظ في ضيق، فقد تناول روخيليو كل الأشربة، وقَبِل كل الصلوات وتحمَّل كل

[٤]- إقليم التشوكو هو واحد من اثنين وثلاثين إقليمًا تشكِّل الأراضي الكولومبية وهو أحد أكثر مناطق تركُّز الكولومبيين من أصول إفريقية، حيث يشكلون أكثر من ٨٠٪ من إجمالي سكانه، الأصليين مشكلين ١٢٪. (المترجم).

فرك سانتوس لجسده، لكن كلما مر الوقت دون أن يقع الحمل كان يستحيل أكثر عزوفًا، وأعلن في أحد الأيام أنه لن يعود للذهاب. أخذت داماريس الأمر بمثابة هجوم ضدها، وعزفت عن الحديث إليه.

رغم أنهما لم يتوقفا عن العيش معًا ولا عن النوم في نفس السرير، فقد ظلا لثلاثة أشهر دون أن يوجه أحدهما إلى الآخر كلمة جاء روخيليو في إحدى الليالي نصف سكران، وقال لها إنه أيضًا يريد ابنًا، لكن دون ضغط سانتوس ودون أي عشبة بنت عاهرة، ولا فرك، ولا صلاة، وإن كانت هي تريد فهو هنا لكي يظلا يحاولان. الغرفة التي يعيشان فيها هي الحجرة الخلفية لبيت كبير لم يعد منذ وقت طويل خير بيوت القرية. أصبح الآن متداعيًا، يملؤه النمل الأبيض والوسخ، والغرفة ضيقة حتى لا تسع بالكاد سوى السرير، وتلفزيونهما القديم، وبوتوجاز ذي شُعلتين يعمل بالغاز. لكنّها ذات نافذة تطل على البحر.

بقيت داماريس لوهلة بجوار النافذة تحسُّ بالنسيم على وجهها له رائحة الحديد الصدئ. حين انتهى هو من التعرّي واستلقى على السرير، أغلقت النافذة، واستلقت إلى جواره وبدأت في مداعبته. تلك الليلة تضاجعا دون تفكير في أبناء ولا في أي شيء آخر، ولم يعودا للحديث عن الأمر، رغم أنها أحيانًا -حين يعلمان بحمل إحدى المعارف أو بولادة طفل في القرية- كانت تبكي في صمت، ضاغطةً على عينيها وقبضتي يديها، بعد أن يخلد هو إلى النوم.

حين أتمّت داماريس ثلاثين عامًا أصبحا في حالٍ أفضل، وقد انتقلا لغرفة أوسع قليلًا في نفس البيت كانت تعمل في أحد أملاك الجرف -مِلك السيدة روسا ــ، والذي كانت تتقاضى عنه مرتبًا ثابتًا، وهو يصطاد في بعض السفن الكبيرة المسمّاة ريح وموج، والتي تظل عدة أيام في عرض البحر، وقد يحملون أطنانًا من السمك. في إحدى المرات، أمسك روخيليو ورفيقه

بثلاثة من أسماك القشر والكثير من أسماك الكنعد، ثم وجدا مياهًا ضحلة من أسماك المرجان الأحمر واستطاعا اغتنامها، تقريبًا كانت طنًّا ونصفًا في المجمل، وكان لكل منهما قدر وفير من المال أراد هو أن يشتري لنفسه شبكة صيد جديدة وجهاز صوت كبيرًا بأربع سمّاعات، لكن داماريس منذ زمن تفكر في طريقة لتقول له إنها لم تتوقف عن تمني طفل، وإنها تريد أن تحاول من جديد دون أن يهمها التضحيات التي عليهما تقديمها.

كانت الخالة خيلما قد حكت لها عن سيدة تكبرها كثيرًا في العمر، في الثامنة والثلاثين، قد نجحت في الحمل، والآن لديها طفل جميل بفضل تدخل الخايبانا، طبيب من السكان الأصليين اشتهر في القرية الأخرى كان الكشف مُكلِّفًا، لكن بالمال الذي جمعاه يمكن لهما البدء في العلاج، ثم يريان بعد ذلك الليلة التي أعلن فيها روخيليو أنه ذاهب في اليوم التالي إلى بوينا ينتورا ليشتري جهاز الصوت، أخذت داماريس في البكاء. وقالت له:

ـ إنني لا أريد جهاز صوت، أنا أريد طفلًا.

وهي تبكي حكت له قصة المرأة التي في الثامنة والثلاثين، وعن المرات التي بكت فيها في صمت، وعن بشاعة أن الجميع يمكنه إنجاب الأطفال وهي لا، وعن الطعنات التي تشعر بها في روحها في كل مرة ترى امرأة حاملًا، أو طفلًا حديث الولادة، أو زوجين معهما طفل، وعن عذاب أن تعيش مشتاقة إلى كائن كائن صغير لتهوّده في صدرها، وأن يأتي كل شهر ومعه الحيض. سمعها روخيليو دون أن ينطق بكلمة ثم عانقها. كانا في السرير، مما جعل العناق بالجسد كلِّه وهكذا أخذا في النوم.

فحص الخايبانا داماريس لوقت طويل. أعطاها أشربة، وحضَّر لها غرفةً للاستحمام بأبخرة وروائح، ودعاها لطقوس دهن فيها جسدها، وفركه، ودخّن لها، وصلّى، وغنّى. بعدها فعل الشيء نفسه مع روخيليو، الذي لم

يتصرف هذه المرة تصرفًا سيئًا ولم ينسحب. لم تكن هذه سوى الاستعدادات. العلاج الحقيقي يتمثَّل في عملية سيجريها لداماريس -دون أن يفتح جسدها من أي جزء- لينظِّف المسالك التي على بويضتها ونُطفة روخيليو اتخاذها، ويحضِّر البطن الذي سيستقبل الجنين. كانت مكلِّفةً جدًّا، واضطرا إلى الادخار طوال عامٍ ليستطيعا دفعها.

أجريت العمليّة في إحدى الليالي في عيادة الخايبانا، وهي عبارة عن بناية لها سقف من القش وأوتاد شديدة الارتفاع، تقع في آخر القرية الأخرى، في قلب أرض زراعية مُجرَّفة وشديدة الجفاف، تكثر فيها حشرة الفاصدة والأعشاب الضارّة والقاطعة والسراخس حادّة الأطراف التي تنمو وتتكوّم بعضها فوق الآخر. ودّع روخيليو داماريس خارج البناية، إذ لا يستطيع أحد آخر غيرها هي والخايبانا التواجد داخلها.

حين أصبحا وحدهما، أعطاها الخايبانا سائلًا غامقًا ومُرًّا لتشربه، وطلب منها أن تنام على الأرض، على مرتبة رفيعة. كانت ترتدي قِماطًا حتى الركبتين، وبلوزة ذات أكمام قصيرة، وما إن افترشت الأرض حتى رأت نفسها تُهاجمها غيمة من حشرات الفاصدة التي تركت الخايبانا في هدوء بينما كانت تقرصها في كل جسدها، حتى في أذنيها، وفي فروة رأسها وفوق ملابسها. اختفت الحشرات فجأة، وبدأت داماريس تسمع بومةً تنعق بعيدًا. أخذ صوت البومة في الاقتراب شيئًا فشيئًا، وحين صار قويًّا لدرجة أنه أصبح الشيء الوحيد الذي يمكنها سماعه، غفت نائمة.❞

لم تشعر بشيء آخر، وفي الصباح التالي استيقظت بملابسها دون أن تُمَسَّ، وبنفس الألم الخفيف في الظهر الذي يتكرر كل يوم وبلا أي جديد في جسدها. كان روخيليو ينتظرها في الخارج وأخذها ليعودا إلى البيت.

لم تتأخر حتى الدورة الشهرية على داماريرس، وقال لهما الخايبانا إنه لا يستطيع فعل شيء أكثر من أجلهما. خفَّفَ قوله عليهما بشكل ما، فقد كانت المضاجعة تحوَّلت بينهما لإلزام. توقفا عن ممارستها، في البداية ربما للراحة فقط، وشعرت هي بنفسها متحرِّرة، لكنها في الوقت نفسه منهزمة وعديمة النفع، كان خزيًا أنثويًّا أشعرها كما لو كانت فضلة من فضلات الطبيعة.

في تلك الفترة كانا يعيشان في الجرف. انقسمت بنايتهما إلى صالة، وغرفتين ضيقتين، وحمام دون دُشّ، وطاولة دون حوض للغسيل كان يمكنهما أن يضعا عليها بوتاجازًا، لكنهما فضَّلا أن يطبخا في الكُشك الذي كان واسعًا وفيه حوض غسيل كبير وموقد حطب يسمح لهما بادخار ما تكلفه أنبوبة الغاز. كانت البناية شديدة الصِّغَر، ولا تستغرق داماريس أكثر من ساعتين لتنظيفها. رغم ذلك، فقد انكبَّت في تلك الأيام على العمل بهوس كبير حتى استغرقها أسبوعًا كاملًا. فركت ألواح الحوائط من الخارج والداخل، وألواح الأرضية من فوق ومن تحت، وأزالت بفرشاة أسنان الوسخ المتراكم بين الألواح، وحفرت بمسمار في الثقوب والشقوق التي في الخشب، وغسلت بإسفنجة الوجه الداخلي لصفائح السقف. ولكي تستطيع فعل هذا الشيء الأخير تسلَّقت كرسيًّا بلاستيكيًّا، وطاولة المطبخ، وخزان المرحاض الذي -لأنه كان من السيراميك- انكسر تحت وزنها واضطرّا للادخار لاستبداله.

بعد مرور شهرين، حين عاد روخيليو لالتماس داماريس رفضته، وفي الليلة التالية عادت لرفضه، وهكذا طوال أسبوع كامل حتى توقف هو عن المحاولة. أسعد ذلك داماريس. فلم تعد تأملُ آمالًا كاذبة باحتمال حملها، ولا تنتظر بقلق غياب حيضها، ولا تعاني في كل مرة يأتيها لكنه

هو -حانقًا أو غاضبًا- بدأ يوجِّه إليها أنها كسرت المرحاض، وفي كل مرة ينزلق من بين يديها شيء -طبق أو برطمان أو كوب- وهو ما كان يحدث بكثرة، ينتقدها ويسخر منها يقول لها:

«بليدة. هل تظنين أن الأواني تثمرها الأشجار؟ المرة القادمة سأحاسبك على ثمنها، هل سمعتِني؟». إحدى الليالي، بعذر أنه يشخِّر ولا يدعها تنام، ذهبت داماريس إلى الغرفة الأخرى ولم تعد مرة بعدها.

الآن هي على وشك إتمام الأربعين، السن التي تجف فيها النساء، كما سمعت خالها إلييسير يقول مرّة منذ وقت قصير، اليوم الذي تبنَّت فيه الكلبة، كانت لوسميلا قد فردت لها شعرها، وبينما كانت تضع لها المنتج أعجبت ببشرتها، التي احتفظت بحالة جيدة جدًّا، دون بُقع أو تجاعيد. فقالت:

. على العكس انظري إليّ أنا -وأضافت، على سبيل الشرح .، بالطبع، إذ إنك لم تُنجبي. كانت لوسميلا ذلك اليوم في مزاج جيد، ولم تُرِدْ سوى مدحها، لكن آلم داماريس حتى عظْمها إدراكُها أن لوسميلا -وبالطبع جميع الناس- كانوا على يقين من أن حالتها خاسرة، وكانت كذلك، وهي تعرف، لكن يصعب عليها تقبُّل الأمر.

وهكذا فإن هذا التعليق الجديد الذي قالته ابنة خالها -التي أنجبت في السابعة والثلاثين ابنتين وأصبح لها حفيدتان- جعلها ترغب في الانفعال مثل بطلات المسلسلات، وأن تقول لها ودموعها في عينيها لكي تندم على شرِّها: «نعم، لقد سمَّيتُها تشيرلي، كاسم البنت التي لم أنجبها قطُّ» لكنها لم تنفعل ولم تقل أي شيء أخذت الكلبة عائدة بها إلى الصندوق،

وسألت ابنة خالها إن كانت تحدثت إلى أبيها ذلك الأسبوع، الخال إلييسِر، الذي كان يعيش في الجنوب ولم يكن بصحة جيدة مؤخرًا.

أحيانًا كانت داماريس عند نزولها إلى القرية تذهب إلى بيت السيدة إلوديا لتسأل عن الكلاب. أبقت السيدة إلوديا على واحد احتفظت به في الحانة داخل صندوق كرتون وكانت تطعمه بالحقنة. استطاعت توزيع الكلاب الأخرى على معارف من القريتين، لكن الجراء كانت تموت يومًا بعد يوم. أحدها لأنه في بيته الجديد هاجمه الكلب الرئيسي، والسبعة الباقية لم يُعرف سبب موتها. حاولت داماريس إقناع نفسها بأن السبب أنها كانت شديدة الرقَّة وأن الناس لم تعرف كيف ترعاها، لكن كلمات لوسليما كانت تتردَّد في رأسها مرة بعد أخرى: «ستقتلين هذا الحيوان بكثرة لمسه»، وفكرت أنها ربَّما هي أيضًا تسيء فعل كل شيء، ويومًا ما ستصبح الكلبة متيبِّسةً كإخوتها.

بنهاية الشهر الأول لم يبقَ من الأحد عشر جرْوًا سوى ثلاثة: جرْوة داماريس، وجرو السيدة إلوديا، وجرو خيمينا، سيدة تقترب من الستين، وتعيش من بيع الصناعات اليدوية في القرية الأخرى أدهش داماريس أنه لم يمت جرو تلك السيدة لم تكن تعرفها جيدًا، لكنها تعرف أنها تعيش حياة بائسة رأتها مرَّة في أثناء مهرجان الحيتان سكرى لدرجة أنها لم تستطع الوقوف، ومرة أخرى صباح يوم أحد وجدتها ملقاة على السلالم التي تهبط إلى شاطئ القرية الأخرى، تنام نوم السُكْر وملابسها لزجة بالقيء.

قالت لها السيدة إلوديا:

ـ لقد نجت كلابنا، إن مات أحدها فسيكون لسبب آخر.

أحسَّت داماريس في البداية بالارتياح ثم بالسرور أن المخطئة هي لوسميلا، رغم أنها لم تكن لتواجهها بذلك تحسُّ ابنة خالها بأنها مهاجمة بكل شيء تقوله لها وتغضب لكل شيء لماذا تفشي البغضاء بينهما إن كانت الكلبة التي قد فتحت عينيها منذ وقت وبدأت في المشي لتبحث عن طعامها، ستثبت أنها على حق؟

ظلّت داماريس تحمل الكلبة في حمّالة صدرها، لكنها كانت تزداد وزنًا يومًا بعد يوم، فأصبحت تضعها وقتًا أطول على الأرض. تعلمت الكلبة أن تلحس، وأن تأكل من الإناء، وأن تتغذى على أحساء السمك التي تحضِّرها لها داماريس، وفي الأيام الأخيرة على بقايا الطعام كالكلاب الأخرى. كذلك كانت تعلمها قضاء حوائجها خارج البيت والبناية حيث تقضيان الصباح بينما تطبخ داماريس وتطوي الملابس النظيفة.

حتى تلك اللحظة لم يكن روخيليو قد تعرَّض للكلبة. لكن الآن وقد تيقَّظت أكثر مما سبق، وأصبحت تتبع داماريس في كل مكان، وتقفز وتهاجم أقدام الكلاب الأخرى وتتحرَّش بها بأسنانها الحادّة، فقد فتَّحت داماريس عينيها إن فعل لها روخيليو شيئًا، إن تجرَّأ فحسب على رفع يده عليها، ستقتله على الرغم من ذلك فالشيء الوحيد الذي فعله أن قال لها إن الوقت قد حان لإخراجها من البيت، ألا تعتاد على البقاء حيث يكون الناس وتُتلف البيت الكبير.

كان الخال إليسِر مالكًا للجُرف حتى السبعينيات، حين قسَّمه إلى أربع أراضٍ وعرضها للبيع. تربّت داماريس في كنفه لأن الرجل الذي تسبَّب في حمل أمّها -وكان جنديًّا قد أدى خدمته العسكرية في المنطقة- هجرها حين حملت، ولكي تستطيع إعالة ابنتها اضطرت للذهاب كي تعمل في بيت عائلي في مدينة بوينابينتورا. كانت ترسل المال كلما استطاعت،

وتأتي لتقضي احتفالات عيد الميلاد، والأسبوع المقدَّس، وأحد عطلات نهاية الأسبوع الطويلة. كبرت داماريس في بيت مِلك الخال إليسر وزوجته خيلما في الأرض التي تمتلكها الآن السيدة روسا، والتي كانت أول قطعة باعوها. بعد ذلك باعوا الأرض المجاورة لمهندس من منطقة أرمينيا، والتي خلفها لعائلة رِيِّس.

تألفت عائلة رِيِّس من السيد لويس ألفريدو الذي كان من مدينة كالي لكنه يعيش في بوجوتا، وزوجته إلبيرا، والتي كانت فعلًا من بوجوتا، وابنه نيكولاسيتو[٥].

أرسلوا لبناء بيت كبير، كله من صفائح الألومينيوم -المادة الأحدث في ذلك الوقت -، بحمّام سباحة، وبناية واسعة بحوض لغسل الأطباق، وفرن من الحطب لتحضير أحساء السانكوتشو، والشواء والحفلات. بالإضافة إلى ذلك بناية من الخشب للحُرّاس. انتقلت عائلة داماريس للأرض المجاورة لأرض عائلة رِيِّس قبل أن يبيعوها. بما أنهم يجيئون في كل الإجازات، فقد تصادق نيكولاسيتو وداماريس. كانا في نفس العمر ويتمّون أعوامهم في نفس التاريخ، تاريخ بشع لعيد ميلاد: الأول من يناير.

بدأ شهر ديسمبر. لم تكن أنوار أعياد الميلاد قد عُلِّقَت في القرية بعد، وشيرلي ساينز تُوِّجت ملكة جمال لكولومبيا وأصبحت داماريس ولوسميلا تقضيان أوقاتهما في الإعجاب بها في مجلات مثل كروموس التي أحضرتها السيدة إلبيرا من بوجوتا. كان نيكولاسيتو يقوم بدور

[٥]- هذه النهاية «إيتو» هي إحدى أشكال التصغير في اللغة الإسبانية، وللتصغير أغراض مختلفة، منها المحبَّة والتدليل مثله في هذه الحالة. (المترجم).

المكتشف وينظم رحلات مشي في الجرف تؤدي فيها داماريس دور المرشدة، ويحملان فيها معهما كشّافات وإن كانت في النهار. كانا على وشك إتمام ثمانية أعوام. في أغلب المرات ترافقهما لوسميلا، لكنها ذلك اليوم غضبت لأنهما لم يدعاها تذهب في مقدمة حملة الاستكشاف، فألقت على الأرض بالعصا التي كانت تحملها للدفاع عن نفسها أمام الأفاعي وعادت إلى بيتها تدمدم.

وصلت داماريس ونيكولاسيتو وحدهما إلى مقصدهما، نقطة منخفضة ومليئة بالصخور تلعق فيها الأمواجُ الجرف. في البداية ظلّا هادئين ينظران إلى نمل الأتَّا الذي يهبط على شجرة في صفٍّ حاملًا قطعًا من الأوراق. كان ضخمًا وأحمر وغليظًا، بأطرافٍ حادّة عند الرأس والخصر قال نيكولاسيتو: «يبدو كأنه متدرِّع» حينها اقترب من الصخور قائلًا إنه يريد أن يبلّله ندى الأمواج حاولت داماريس منعه، شرحت له أنه خطر، وقالت له إن الصخور في ذلك المكان زلقة والبحر غادر لكنه لم يسمع كلامها، ووقف على الصخور، والموجة التي اندفعت -موجة عنيفة- أخذته.

ظلت الصورة مسجلة في ذاكرة داماريس هكذا: طفل أبيض وطويل أمام البحر، وبعد ذلك نافورة الموجة البيضاء، ثم لا شيء، الصخور الخالية على بحر أخضر يبدو هادئًا من بعيد. وهي هنالك، بجوار النمل الضخم، دون أن تقدر على فعل شيء.

اضطرَّت داماريس للعودة وحدها من غابة بدت لها أكثر انغلاقًا وظُلمةً من أي وقت مضى تتجمَّع فروع الأشجار من فوقها وتتقاطع جذورها من تحتها تندفن أقدامها في بساط الأوراق الميتة على الأرض وتغرق في الطين، وبدأت هي تحسُّ أن الأنفاس التي تسمعها ليست أنفاسها وإنما

أنفاس الغابة، وأنها هي -وليس نيكولاسيتو- من كانت تغرق في بحر أخضر مليء بالنمل والنباتات. أرادت أن تهرب، أن تضيع، ألا تقول شيئًا لأحد وأن تبتلعها الغابة. بدأت في الجري، تعثَّرت، وقعت، نهضت وعادت للجري.

حين وصلت إلى أرض عائلة رِيِّس قابلت زوجة خالها خيلما التي كانت في البيت تتحدث مع الحرّاس سمعت خيلما ما حكته داماريس، لكنها لم تقل لها كلمة توبيخ واحدة وتولَّت كل شيء طلبت من الحرّاس أن يخرجوا في قارب صغير ليبحثوا عن نيكولاسيتو، وذهبت هي لتخبر السيدة إلبيرا بما حدث. كانت السيّدة وحدها في البيت لأنَّ السيد لويس ألفريدو كان يصطاد في عرض البحر. دخلت الخالة خيلما وظلت داماريس منتظرة في الشرفة. لم يكن ثمة رياح. ظلَّت أوراق الأشجار ساكنة والشيء الوحيد الذي يُسمع هو البحر. بدا لداماريس أن الوقت يتمدَّد، وأنها ستظل هنا حتى تكبر ثم تشيخ.

أخيرًا خرجتا. كانت السيدة إلبيرا كالمجنونة. تصرخ، وتبكي، تنحني لكي تكون في طولها، ثم تنهض، وتدور حول نفسها في الشرفة، تضرب كفًّا بكفٍّ، تسألها سؤالًا وآخر ثم تعود لتسألها نفس الشيء بطريقة مختلفة. نسيت داماريس ما كانت تسألها، لكنها لم تنس وجه السيدة، ولا تفجُّعها، ولا عينيها -اللتين كانتا زرقاوين- بشراييها الداخلية متفجِّرة والدم يبقِّع الجزء الأبيض.

ذلك اليوم بحثوا عن نيكولاسيتو حتى حلَّ الليل وظلّوا يبحثون عنه دون راحة كل يوم.

ساعد الخال إلييسِر في البحث، وفي المساء، حين يأتي بالأخبار السيئة، يجلس على جذع شجرة عند مدخل البناية كانت داماريس تعرف أن تلك إشارة لكي تقترب، فتفعل ذلك دون تأخُّر، فلم تكن تريد أن يغضب أكثر من غضبه حينئذ يمسك الخال إلييسِر بفرعٍ جاف ومرن من شجرة الجوافة ويجلدها. قالت لها الخالة خيلما ألا تتوتَّر، وأنه كلما تراخت العضلات -التي كان الخال يضربها عليها- قلَّ ألمُها. كانت تحاول ذلك، لكن الفزع وخبطة الجلدة الأولى تجعل عضلاتها جميعًا تنقبض، وكل جلدة جديدة تؤلمها أكثر من السابقة. بدت عضلاتها ظهر المسيح. في اليوم الأول جلدها جلدة، وفي الثاني جلدتين، وهكذا تزيد كل يوم يمر دون أن يظهر نيكولاسيتو.

توقَّف الخال إلييسِرفي اليوم الذي كان عليه أن يجلدها أربعًا وثلاثين جلدةً قد مرَّ أربعة وثلاثون يومًا، وهو أطول وقت استغرقه البحرُ في إعادة جسد إلى البر كان جسده قد سلخه الملح، وأكلته الأسماك في بعض الأجزاء حتى العظام، ونتن الرائحة، كما قال الناس الذين كانوا قريبين منه.

ذهبت الخالة خيلما ولوسميلا وداماريس لرؤيته من الجرف. جسد يبدو الآن أصغر، جسد صغير لطفل مُلقى على الرمال، والسيدة إلبيرا، شديدة الشقرة والنحافة والجمال ترفعه قليلًا عن الأرض لتعانقه وتملأه بالقبلات كأنه لا يزالُ جميلًا مرّت الخالة خيلما بذراعها على ظهر داماريس التي لم تحتمل أكثر وانفجرت في البكاء لأول مرة منذ المأساة.

لم تعد عائلة رِيِّس إلى بيت الجرف، لكنهم كذلك لم يبيعوه. باع الخال إلييسِر آخر قطعة أرض لأخواتٍ لتولولا، وأمر ببناء بيت من طابقين في القرية حيث ذهب ليعيش وعائلته وأم داماريس، التي لم تضطر بعدها للعمل في بوينابينتورا. كان زمن وفرة. بمكاسب المبيعات الأولى اشترى

الخال قطعة أرض في الجنوب، حيث ذهب أبناؤه من الزوجة الأولى ليعيشوا، ومركبين يؤجرهما للصيد. تحول فجأة إلى رجل ثري يقيم حفلات تشغل الشارع وتستمر طوال عطلة نهاية الأسبوع. هكذا بدأت أمواله في النفاد.

تكاثرت ديونه حتى أنه اضطر لبيع أحد المركبين لسدادها. حينئذ أتت سلسلة سوء الحظ. في العام التالي أغرقت موجة هائجة المركب الثاني، وبعد شهور قليلة، في احتفالات ديسمبر، أصابت طلقة طائشة صدر أم داماريس. في الوحدة الصحية في القرية لم يستطيعوا أن يفعلوا لها شيئًا، وحملوها في قارب طوارئ إلى بوينابينتورا، لكن حين وصلوا إلى المستشفى كانت قد ماتت ألغت داماريس -التي كانت على وشك إتمام خمسة عشر عامًا- احتفالها[٦] كانت تحضِّر له مع أمها، والآن لا تُريد سوى أن يتركوها تبكي هادئة في الغرفة التي كانت تشاركها مع لوسميلا. كانت ابنة خالها تجلس إلى جوارها على السرير، وتضفِّر شعرها، وتحكي لها نمائم عن القرية حتى تستطيع إضحاكها.

كان أهل القرية يقولون إن كل تلك المصائب المتوالية ليست بالأمر العادي، وإنها لا بد عمل حاسدٍ ما سحر لهم. استدعى الأخوال في قلقٍ سانتوس فأجرت عملية تنظيف للبيت ولكل أفراد العائلة، لكن الوضع لم يتحسَّن.

هدمت البيت موجة عنيفة، وإذ لم يكن هناك مال لإعادة بنائه، تفرَّقت العائلة في ذلك الوقت كان روخيليو قد حطَّ على القرية في مركب صيد

[٦]- في حضارات شعوب أمريكا الجنوبية قبل الكولومبية -قبل الاستعمار الإسباني- كان يُحتفل بإتمام الفتيات الخامسة عشرة بالخروج من بيت عائلتها لدراسة ثقافة وتقاليد قبيلتها، وهذا الاحتفال لا يزال محتفظًا به في بلدان أمريكا الجنوبية بعد مزجه بالتراث المسيحي (المترجم)

تالف أثناء وصول قطع الغيار من بوينا ينتورا وإصلاح المركب، كان يقضي وقته في شرب البيرة والنظر إلى فتيات القرية. تعرَّف إلى داماريس يوم أحد عند الشاطئ، وحين أصبح المركب جاهزًا، ترك عمله، وأجَّر غرفة في القرية وانضمَّت إليه داماريس. انفصل الخال إلييسِر وزوجته خيلما. ذهب هو ليعيش في الجنوب مع أبنائه الكبار، ووجدت هي عملًا كنادلة في الباسيفيك و ريال هوتيل، وانتقلت ولوسميلا إلى القرية الأخرى.

مع الوقت توقفت عائلة رِيِّس عن رفع مرتب الحراس، وعن إرسال المنتجات التي يحتاجون إليها لصيانة قطعة الأرض: مساحيق الغسيل، والأسمدة، والملمِّعات، والمُبيدات، والدهانات، والكلور، والزيت، والبنزين لماكينة تسوية العشب، وآلة معالجة حمام السباحة... عند ذلك عُرف أن شركتهم في بوجوتا -مصنع الحقائب- قد أفلست.

استقال الحُرّاس حين حصلوا على عمل آخر في مزرعة داخل البلاد، وقَبِلَ خوسويه رعاية بيت عائلة رِيِّس قد وصل لتوِّه إلى القرية وليس له امرأة ولا أبناء ولا شيء يخسره كانوا يدفعون له أقل من نصف الأجر الأدنى، لكنه يكمل بصيد الأسماك والحيوانات بنفسه. توقفت عائلة رِيِّس في أحد الأيام عن دفع أجره، وظل هو في الأرض لأنه ليس لديه مكان يذهب إليه. بعدها بزمن مات بطلقة بندقية بدا أنها كانت حادث صيد.

كان الخال إلييسِر في الجنوب، والخالة خيلما قد أصيبت بجلطة دماغية وصار من الصعب فهمها حين تتكلم، ولوسميلا التي أصبح لها زوج، قد أنجبت لتوِّها ابنتها الثانية في بوينابينتورا لم يبقَ أحدٌ في القرية سوى داماريس قريبًا من عائلة رِيِّس ويمكنه إخبارهم بموت الحارس.

في تلك الفترة لم تكن الهواتف المحمولة قد وصلت إلى المنطقة. كان مكتب تيليكوم يقع بين القريتين وهو أحد المنشآت القليلة المبنية بالطوب. له نافذة وحيدة، وفي أثناء الحَرِّ كان الجوُّ بداخله أشدَّ حرًّا، وإن كان جوُّ اليوم منعشًا فهو بالداخل أكثر إنعاشًا. لم تزُر داماريس بوجوتا قطُّ، ولا حتى مدينة كالي. المدينة الوحيدة التي تعرفها هي بوينابينتورا، التي تبعد ساعة في المركب وليس بها مبانٍ شاهقة كذلك لم تعرف برد الجبال، لكن مما تراه في التلفزيون وما يقوله الناس، كانت تتخيل بوجوتا مثل مكتب تيليكوم بعد أسبوع من المطر: مكانًا مظلمًا، ذا أصداء ورائحة رطوبة مثل الكهوف.

اليوم الذي اتصلت فيه بعائلة ريِّس كان مُشمِسًا، لكن هناك الكثير من الغيوم، وفي القرية سعيرٌ يشبه التواجد داخل قِدر حَساء. كانت يدا داماريس تعرقان، وكادت تذوب بينهما الورقة التي دوَّنت فيها رقم الهاتف، قد أخذتها من كراسة المرحوم خوسويه. دخلت إلى البناية، واتَّصلت بالرقم. تأخرت المكالمة ثانية شديدة الطول لكي تتم، وأثناء سماعها الجرس فكّرت داماريس أنه على الجانب الآخر من هذه الضوضاء هناك جزء شديد القبح من ماضيها ومدينة متوحِّشة لا يمكنها تخيُّلها. كانت ستغلق حين ردَّ عليها رجل.

ـ السيد لويس ألفريدو؟

ـ نعم.

أرادت داماريس أن تهرب.

ـ تتحدث مع داماريس.

سمع السيد لويس ألفريدو الاسم فحلَّ صمتٌ بشع، تلقَّته هي مستسلمةً كما تلقَّتْ جلدات خالها كل مساء طوال ثلاثة وثلاثين يومًا كانت لعائلة ريِّيس طائرًا مشؤومًا، وعلامةً على سوء الطالع بعد ذلك - وكما استطاعت، في توتُّرٍ- حكت له ما حدث: منذ يومين سُمِعت طلقة بندقية في الجرف صعد زوجها ورجال آخرون من القرية ليبحثوا عن خوسويه، لكنهم لم يجدوه لا في البناية ولا على الطرق. في اليوم التالي انتشرت النسور السوداء[٧] في الجرف وأشارت إلى مكان الجثَّة.

قال السيِّد لويس ألفريدو مذهولًا:

ـ انتحر.

ـ لا، لا أعتقد يا سيِّد. الأسبوع الماضي تحدَّثتُ معه ولم يبدُ سيئًا ولا حزينًا ولا أي شيء.

ـ نعم.

ـ حتى إنه خطَّط للذهاب لبوينا ينتورا لشراء أحذية يحتاجها.

ـ نعم.

ـ وزوجي يقول إنه ربما وقع وأطلق البندقية دون قصد. كانت الجثة في الجبل في وضعية شديدة الغرابة.

[٧]- النسر الأسود الأمريكي هو طير جارح من فصيلة نسور العالم الجديد يتغذى على جيف الحيوانات وقد يؤذي روثه النباتات والحيوانات، ويعد علامة شؤم لأنه يحط بكثرة على جثث الحيوانات أو البشر. (المترجم).

ـ زوجكِ؟

ـ نعم يا سيدي.

ـ أنت الآن في الثالثة والثلاثين، أليس كذلك؟

حلَّ صمتٌ بشع آخر، وبعده تحدَّثت داماريس وكأنها تعتذر:

ـ بلى يا سيدي.

تنهَّد السيِّد ألفريدو. وبعدها أسف على مأساة الحارس، وشكر لداماريس مكالمتها وسألها إن كانت تقدر على القيام على شؤون المِلك.

ـ إنك تعرفين أهميته بالنسبة لنا.

ـ نعم يا سيِّدي.

ـ أنا سأرسل إليك مقابل راتبك والمستلزمات.

كانت داماريس تعرف أن ذلك ليس حقيقيًّا، لكنها تصرفت كأنها تصدِّقه، وقالت له نعم على كل شيء. لم تشعر بأنها مدينة لعائلة رِيِّس فحسْب، بل تحمَّست كذلك لفكرة أن تعود للعيش في الجرف الذي عدَّته دائمًا موطنها.

لم يكن من الصعب إقناع روخيليو ففي الجرف لن يضطروا لدفع إيجار، وبناية الحراس -وإن لم تكن شيئًا عظيمًا- أوسع من غرفة القرية، وهما يستطيعان إصلاحها لكي يكسبا رزقهما سيستمرَّان في العمل كما فعلا إلى الآن، هو في الصيد في الجبل وفي مراكب الريح والموج، وهي في بيت

السيدة روسا التي تحتاجها الآن أكثر من أي وقت؛ فقد أضحى زوجها السيِّد خيني قعيد كرسي متحرّك.

الشيء الوحيد الذي لم يعجبهما أن مِلك عائلة ريِّيس لم تكن فيه كهرباء رغم ذلك، فبيت السيدة روسا الذي يقع أمامهم فيه، وقد سمحت لهما بأخذ وصلة من مولِّد الكهرباء الذي يغذِّي البيت، وهكذا استطاعت داماريس وروخيليو أن يضيئا البناية . رفعا أشياءهما، التلفزيون القديم، وموقد الغاز الذي لم يستخدماه قطُّ، والسرير والملاءات التي قد أهدتها لهما الخالة خيلما، وارتاحا في البناية كما لم يفعلا قطُّ في غرفة القرية.

لم يكن العمل في مِلك عائلة رِيِّس مُعقَّدًا. للغسيل والتنظيف يستخدمان المنتجات التي يشترونها على أي حالٍ للبناية، ويُبقيان على حمّام السباحة فارغًا وينظِّفانه حين تُمطر، ويستخدمان المخلَّفات العضوية التي يجدانها في الجبل سمادًا للحدائق، ويسوِّي روخيليو العُشب باستخدام الوقود الذي يفيض من رحلات صيده. كان البيت الكبير يحتاج طبقة دهان وتغيير صفيحتين مشقوقتين، والأرصفة ينقصها بعض التقوية؛ فقد أصابها العفن في بعض الشرائح، لكنهما يبقيان دائمًا على كل شيءٍ نظيفًا ومُعتنى به. حين تأتي عائلة رِيِّس فلن يشتكوا من أي شيء.

لقد عمل الحُرّاسُ لعائلة رِيِّس مقتنعين بأنهم سيعودون يومًا للمكان الذي مات فيه ابنهم. وهكذا فإنهم جميعًا بذلوا جهدهم ليحافظوا على البيت، وبخاصة على غرفة المرحوم نيكولاسيتو كما تركوها، في حدود ما يسمح به الجوُّ والغابة وملح البحر ومرور الزمن.

بُني البيت الكبير ليقاوم أشد الظروف. كانت شرائح الألومينيوم مضادَّة للصدأ، والأرضيَّة من خشب رقيق لا ينفذ إليه النمل الأبيض ولا السوس، ولبناء أعمدة الأساس والقاعدة المرتفعة استخدموا خليطًا من إسمنت خاصٍّ، أكثر قوَّةً. لم يكن بيتًا جميلًا بل عمليًّا، ذا مساحات واسعة وأثاث من موادٍّ صناعيَّة. كانت غرفة المرحوم نيكولاسيتو هي الوحيدة المُزّيَّنة. أوكلت السيدة إلبيرا السرير والدولاب إلى أفضل نجار في القرية، ودهنتها بنفسها بألوانٍ حيَّة. أحضرت الستائر وفراش السرير من بوجوتا وكانت متطابقة، مرسومًا عليها غلاف كتاب الغابة. بهتت ألوانها قليلًا وثُقِبت بعض الثقوب لكنها كانت صغيرة جدًا ولا تُلاحظ من بُعد. في الدولاب بين كريَّات النفتالين كانت بعض ملابس نيكولاسيتو، بعض القمصان والسراويل، وسروالا سباحة، وحذاءان وبعض النِعال. يبقى الباب مفتوحًا بقوقعة كان هو نفسه قد أتى بها من نيجريتوس حين خرج للصيد يومًا مع أبيه، وكانت ألعابه في صندوق خشبي قد لوَّنته أيضًا السيدة إلبيرا. بقيَت الألعاب التي كانت من البلاستيك أو الخشب، أما التي بها أجزاء حديدية فقد صدأت منذ أعوام.

تقبَّلت داماريس الآن أن روخيليو كان على حق. لم ينبغِ للكلبة أن تعتاد التواجد معها في البناية أو البيت الكبير حيث تقضي شطرًا كبيرًا من الوقت تنظف وتُلمِّع. يمكن أن تحطِّم الكلبة شيئًا: قوقعة المرحوم نيكولاسيتو، أو إحدى ألعابه، أو أحذيته، أو -لا أرادَ الربُّ- قِطَع الأثاث الذي لوَّنته له أمُّه.

بأسفٍ وذنبٍ أخرجت داماريس الكلبة من البناية ولم تعد تتركها تصعد وراءها إلى أي من البيتين الذين يرتفعان عن الأرض بأوتاد من إسمنت خاص للبيت الكبير ومن خشب عادي للبناية لكنها كذلك لم تجبرها

على العيش تحتهما كالكلاب الأخرى منحت الكلبة مكانًا في الكُشك، حيث تكون محميَّةً من المطر، وحظرت على الكلاب الأخرى دخوله.

كان عيد ميلاد الخالة خيلما وخرجت داماريس مبكِّرًا لزيارتها قبل أن تصل المراكب الأولى من بوينابينتورا. ذلك اليوم يبدأ الموسم العالي لمنتصف العام وأرادت تجنب جحافل السيَّاح الذين سيرسون على الميناء ويذهبون إلى الجانب الآخر من القرية حيث تقع أفضل الفنادق.

الليلة الماضية بالكاد سقط مطر خفيف. أصبحت السماء صافية والبحر أزرق وشديد السكون. كان واضحًا أنه من تلك الأيام الغريبة التي لا سحب فيها، ذو سماء زرقاء حيَّة وحرارة حارقة. كانت بناتها في الحانة تنظّمن الطاولات وتضعن المفارش. السيدة إلوديا ترتدي مريلة مطبخ وفي يدها سكين لتنظيف السمك.

قالت: مات كلب خيمينا.

ظلّت داماريس مرتبكة. ثم سألت:

ـ كيف؟

ـ تقول إنه مات مسمومًا.

ـ مثل أمِّه.

هزَّت السيدة إلوديا رأسها، وقالت:

ـ الآن لم يبق سوى كلبتك وكلبي.

أتمّت الكلاب ستّة أشهر. كلب السيدة إلوديا كان على الشاطئ، خارج الحانة، في المكان الذي كانت أمه تقضي فيه أيامها من قبل. كان متوسط الحجم ككلبة داماريس، لكن ذلك هو الشيء الوحيد الذي يتشابهان فيه. أذناه منتصبتان وشعره أسود وأشعث.

وبخلافه ظلَّت أذنا كلبتها مترهِّلتين وشعرها لم يزل رماديًّا وشديد القِصَر لم يكن أحد ليفكّر أنهما ابنا بطن واحد هفَت نفس داماريس للعودة إلى البيت لتعانق الكلبة وتتأكد أنها بخير، لكن اليوم كان عيد ميلاد الخالة خيلما واضطَّرت لإكمال الطريق نحو القرية الأخرى منذ أصابتها الجلطة صعبت حركة الخالة خيلما وأصبحت تقضي وقتها كله على كرسي هزّاز كانوا يجرّونه من الصالة إلى ممر المدخل ومن ممر المدخل إلى الصالة تنام في غرفة مع ابنتيها الاثنتين وأحفاد لوسميلا كان زوج الابنة الكبرى يعمل في بوينابينتورا ولا يأتي سوى في بعض نهايات الأسبوع. تنام لوسميلا وزوجها في الغرفة الأخرى. هو يعمل في البناء وهي تبيع منتجات مجلَّات: ملابس، وعطور، ومستحضرات تجميل، وماكينات لفرد الشعر، وأواني طبخ. لم تكن أمورهم سيئة. البيت صغير لكنه من الطوب وبه أثاث: مائدة بيضاوية من الخشب، وصالة بها كنبتان مفروشتان بقماش عليه ورود.

تغدّوا أرزًا بالجمبري، وغنَّوا أغنية عيد الميلاد السعيدة، وأكلوا كعكعة بكريمة زرقاء كانوا قد طلبوها من بوينابينتورا. أعطت الفتيات هديَّة لجدَّتهن الكبرى فجرت دموعها. ربَّتت داماريس بذراعها على ظهرها وظلَّت تدلّكه لبعض الوقت. بعد ذلك أرادت الفتيات أن يلعبن مع الخالة داماريس بتسلُّق ساقيها وذراعيها. كان الباب والنوافذ كلها مفتوحة، لكن الشمس في منتصف السماء وليس هناك أي نسمة هواء.

تروِّح لوسميلا وبناتها على أنفسهن بالمجلات، والخالة خيلما تهزُّ نفسها ببطء على كرسيِّها وظلّت الفتيات يتقافزن على داماريس التي بدأت تشعر بالاختناق. قالت لهن:

ـ الآن لا، توقَّفن من فضلكنّ.

لكن الفتيات لم يتوقفن حتى صرخت فيهنَّ لوسميلا وأرسلتهنَّ إلى غرفتهنّ.

في المساء، وهي تخرج إلى قريتها، مرَّت داماريس بمحلّات الصناعات اليدويّة. لا يزال السيَّاح يصلون من المرسى على أقدامهم أو على موتوسيكلات أجرة، بحقائبهم على أكتافهم، يعرقون في تعب، لكن أغلب السياح كانوا قد نزلوا في فنادقهم، والكثيرين يتجولون هناك ناظرين إلى المزهريات المصنوعة من نخيل الجويزّيجي، والقبَّعات من قرع التزيين التي فرشها السكان الأصليون على الأرض فوق ملاءات باهتة. كان من الصعب التقدُّم بين الناس.

ظلَّت داماريس عالقة لوهلة أمام موضع خيمينا، الذي كان أفضل كثيرًا من موضع السكان الأصليين. كان مرتفعًا عن الأرض، وله سقف من البلاستيك، واللوح الذي تضع عليه البضائع مغطًّى بقماش مخملي أزرق. كانت تبيع أساور وقلائد وخواتم وأقراطًا وأساور منسوجة، وورقًا من الأرز وغلايين لتدخين الماريجوانا. تبادلت داماريس وخيمينا نظرة ونهضت خيمينا وأحاطت بداماريس. قالت لها:

ـ قتلوا لي كلبي الصغير.

لم تكونا قد تحدثتا من قبل قطُّ.

ـ أخبرتني بذلك السيدة إلوديا.

ـ هم الجيران، أولاد عاهرة.

شعرت داماريس بعدم الارتياح من تحدثها بسوء عن أولئك الأشخاص، وإن لم تعرف من هم، لكنها في الوقت نفسه تشفق على خيمينا. كانت رائحتها تفوح بالماريجوانا، وصوتها محشرج من السجائر، وبشرتها مبقَّعة وبها تجاعيد، وفي جذور شعرها الطويل والمصبوغ بالأسود يُرى بياض لونه. حكت لها أن دجاجة من دجاج الجيران عبرت السياج منذ أسابيع فقتلها الكلب وهي في أرضهم، والآن، بشكل غامض، يظهر كلبها ميِّتًا ليس لدى خيمينا أي دليل آخر لتتهم الجيران ولم تستطع حتى التأكد من موت الكلب مسمومًا ظنّت داماريس أنه من المحتمل موته بسبب آخر، بسبب أفعى أو مرض مثلًا، وأن خيمينا إن كانت غاضبة كل هذا الغضب على الجيران فذلك فقط لكيلا تغرق في الحزن.

اعترفت لها قائلة:

ـ كنت أريد أنثى، لكن السيدة إلوديا قالت لي إنك أخذت الأنثى الوحيدة من البطن، لذلك أخذته هو. كان صغيرًا جدًا، أتذكرين كيف كانوا؟ كنت أحمل سيموني الصغير في كفَّيَّ.

حين وصلت داماريس إلى البيت سعدت لرؤية الكلبة كسعادة الكلبة لرؤيتها، وظلَّت تربِّت عليها لوقت طويل، حتى نظرت إلى يديها فأدركت أنها ملطَّخة بالوحل. قررتْ أن تحمِّمَها. لم تزل الشمس ضاربة بقوة، وكانت تحتاج أن تزيل عن نفسها حرَّ المشوار وعرقه. حمَّمت الكلبة

بجوار موضع الغسيل بالفرشاة وصابون غسل الملابس الأزرق لسوء حظ الكلبة التي كانت تكره الماء، فأخفضت رأسها وأخفت ذيلها.

بعد ذلك، بينما كانت الكلبة تجفِّف نفسها بآخر أشعة الشمس، غسلت داماريس الملابس الداخلية التي تركتها تنقع واستحمَّت هي. كانت دائمًا ما تستحم في موضع الغسيل لأن البناية ليس فيها دُش، دون أن تنزع ملابسها، بصبِّ الماء على نفسها من وعاء من ثمرة التوتوما. كان الغروب بديعًا. بدا كأن في السماء حريقًا وتلوّن البحر بلون البنفسج. كانت السماء قد أظلمت حين علَّقت الملابس الداخلية على منشر صغير يوضع على الأرض كان في البناية، وتركت الكلبة -التي لم تزل غاضبة من الاستحمام- في سريرها، المرتبة المطوية التي غلَّفتها ببعض الفوط القديمة.

في الليل ظلَّت السماء دون مطر، لكنهما اضطرَّا لغلق باب البيت والنوافذ كلها لأن حشرات القرنفل في هياج، وهي ذباب صغير يلدغ كالإبر. ذهب روخيليو ليحضر وعاء قديمًا ومنثنيًا كانا يحتفظان به تحت البيت، وملأه بشعر جوز الهند وأشعل فيه النار بدأ الشعر في الاحتراق وذهب الذباب لبعض الوقت، لكن ما إن خفَّ الدخان حتى عاد بكثرة، واضطرّ كلاهما للإمساك بقطعة قماش لهشِّه لم يستطيعا رؤية المسلسل في هدوء. كان الجو حارًّا لدرجة أن نمت له بقعتان من العرق تحت إبطيه وسال خيط من الماء على سالفيها. اشتكت داماريس وهي تهشُّ بالقماشة:

ـ ألن تمطر اليوم؟

لم يرد روخيليو وذهب إلى سريره. ظلَّت هي تشاهد التلفزيون لأنها تعرف أنه بهذا الحر وحشرات القرنفل تضايقها لن تستطيع النوم.

بعد منتصف الليل، حين كانا يشاهدان الإعلانات دوّى انفجار صاعقة شديدة القرب أضاءت كل شيء لوهلة. قفزت داماريس من الفزع، وانقطعت الكهرباء وبدأ مطر منهمر في الهطول يصحبه البرق والرعد ومياه غزيرة كأنها دلاء تتساقط على سقف البناية.

لكن الجو تحَسَّن، واختفت الحشرات، وذهبت داماريس -وهي تعلم أن الكلبة كانت آمنة في البناية- لتنام.

استمرَّ المطر في الصباح التالي بشدة، وبما أنها ظلّت ساهرةً الليلة السابقة، فقد قامت من السرير في وقت متأخر. كانت الأرضية باردة ورطبة، والوعاء الذي حرقوا فيه شعر جوز الهند الليلة الفائتة يصلح الآن لاستقبال المياه التي تتساقط من ثقب في منتصف الصالة. لم تعد الكهرباء، وكان روخيليو على أحد الكراسي البلاستيكية، أمام التلفزيون المغلق، بينما يتناول قهوة لا بد أنه حضَّرها في الكُشك.

قال روخيليو:

ـ كلبتك هذه أوقعت كوارث الليلة الماضية.

رُعِبت داماريس ليس لما يمكن أن تكون الكلبة قد فعلته، بل للعقاب الذي لا بد أن روخيليو أوقعه بها مستغلًّا عدم حضورها.

ـ ماذا فعلت لها؟

ـ أنا لم أفعل شيئًا، لكنها دمَّرت لك بعض حمّالات صدرك.

خرجت داماريس بكل سرعتها من البناية. لم يكن يُرى البحرُ ولا الجُزُر ولا القرية ولا أي شيء سوى المطر الأبيض بعيدًا كستارة من الشاش،

ويجري في شكل جدول على الأسطح، والأرصفة، وسلالم المِلك. وصلت داماريس إلى الكُشك مُبلَّلَة. لم تزل ملابسها الداخلية وملابس روخيليو الداخلية التي نشرتها على المنشر الصغير الليلة الماضية في مكانها حمالات صدرها فقط -وهي ثلاثة- هي التي كانت ملقاة على الأرض ومقطَّعة الكلبة تهزُّ ذيلها في خجل وشعور بالذنب، لكنها تبدو بحالة جيدة فحصتها من رأسها إلى ذيلها وارتاحت لأنها وجدتها بخير، حتى أنها بدلًا من توبيخها عانقتها، وقالت لها إن شيئًا لم يحدث، وإنها فهمت الرسالة ولن تحممها مرة أخرى أبدًا.

ظلَّت داماريس تُدلِّل الكلبة حتى ضلَّت في الجبل. في تلك الليلة كانت وحدها، فقد خرج روخيليو للصيد في مركب ريح وموج. انتهى دانجير وأوليبو وموسكو من الأكل خارج الكُشك، وكانت داماريس تُدلِّك رأس الكلبة بطريقة التوديع، فقد كانت على وشك الذهاب للبناية. فجأة بدأ دانجير في النباح ناحية الجبل. انتبه الكلبان الآخران وخرجت الكلبة من الكشك وتقدّمت بعض الأمتار حتى أصبحت بجوار دانجير كانت الناحية التي ينبحون تجاهها خالية من البيوت والناس، لذلك افترضت داماريس أن الأمر يتعلق بحيوانٍ ما، أبوسوم أو قنفذ أو خنزير بيكاري أبيض الشفة ضالٍّ أو مريض لغياب القمر كانت الظلمة شديدةً، والضوء الوحيد هو الصادر عن مصباح الكشك. لم تستطع رؤية أو سماع أي شيء من بعيد، لكن توتُّر الكلاب كان في ازدياد، تنبح بقوة وشعرها منتصب.

بدأت داماريس في مناداة الكلبة لتهدِّئها ولكي تعود إلى جوارها. صرخت مرَّة «تشيرلي» دون خجل من أن تنطق بصوت عالٍ الاسم الذي سخرت منه ابنة خالها، «تشيييييرلييييي». لكن دانجير عندها انطلق جاريًا

وتبعه الجميع، حتى الكلبة، التي توغَّلت معهم في الجبل. سمعتهم داماريس ينبحون ويتحركون بين الأدغال. لأنها كانت حافيةً ولأن ذلك الحيوان قد يكون أفعى، بالتأكيد واحدة من تلك التي تخرج في الليل سامَّةً وشديدة الغضب؛ فالشيء الوحيد الذي يمكنها فعله هو الاستمرار في مناداتهم من الكشك. صرخت بصوت غاضب، ومعتدل، وعذب، وراجٍ، دون أي نتيجة حتى هدأ كل شيء ولم يعد يُسمع نباح أو أي صوت.

لم يبق أمامها سوى الغابة، هادئة كأن وحشًا التهم لتوِّه فريستَه.

ذهبت داماريس إلى البناية وارتدت حذاءها ذا الرقبة، وأخذت مِنجل الماتشيتي والكشَّاف ودخلت إلى الجبل من حيث سارت الكلاب. لم تشعر في أي لحظة بالخوف من كل ما يُخيف في تلك الغابة: الظُلمة، والأفاعي، والحيوانات المتوحِّشة، والموتى، والمرحوم نيكولاسيتو، والمرحوم خوسويه والمرحوم السيد خيني، وقصص الرعب التي سمعتها وهي طفلة. لكنها كذلك لم تندهش من شجاعتها. لم تفكر سوى في شيء واحد: الكلبة في خطر وهي تحتاج لإنقاذها.

سارت بين الأدغال دون أن تبتعد كثيرًا لكيلا تضلَّ في الظلام، تضيء في كل اتجاه، تحدث ضوضاءً وتنادي الكلبة ودانجير وأوليبو وموسكو لأنه لم يرجع أحدهم ولم يحدث شيء، فقد قررت التعمُّق أكثر ذهبت إلى قناة الماء التي تفصل مِلك عائلة رِيِّس عن مِلك الجارات، وإلى السياج المجاور للطريق الرئيسي، وإلى الجرف وإلى نخيل الألف بيسو[٨] حيث ينتهي الطريق الوحيد الموجود في تلك الناحية.

[٨]- البيسو هو العملة الكولومبية، وهو يقابل الفلس أو القرش.

لم تكن ترى سوى ما يمكنها إحاطته بالكشَّاف، أجزاء من أشياء، من ورقة كبيرة، من جذع شجرة مفروش بالطحالب، من جناح عَثَّةٍ ضخمة ذات عيونٍ كثيرة انطلقت -وقد فجأَها الضوءُ- طائرةً ورفرفت مفزوعة حول رأسها... بدأ حذاؤها يشتبك بالجذور ويغرق في الطين، وبدأت تتعثَّر، وتنزلق، ولكي تبقى على قدميها كانت تضع يديها على أسطح صلبة، أو مبتلة، أو ليفيَّة. كانت تخدشها أشياء خشنة، ذات شعر وأشواك، وهي تقفز ظانّة أنها عنكبوت أو أفعى من التي تعيش على الأشجار أو خفاش مصَّاص للدماء، لكن لم يعضّها شيء، ليس سوى لدغ الناموس، لكنها لم تهتم وظلَّت تبحث في الظلام كان الحرُّ لزِجًا، تشعر به ملتصقًا ببشرتها كأنه طمي، وبدا لها أن ضوضاء الضفادع والصراصير -غير المُحتملة كموسيقى الديسكو في القرية الأخرى- لم تكن في الغابة بل داخل رأسها أخذ ضوء الكشّاف يخفت ولم يبق بُدٌّ من العودة إلى البناية، منهزمة وباكيةً، قبل أن ينطفئ تمامًا.

نامت على الفور، لكنه نوم لم يجعلها تشعر بأي راحة. حلمت بضوضاء وظلال، بأنها مستيقظة في سريرها، وأنها لا تستطيع الحركة، وأن شيئًا يهاجمها، وأن الغابة هي من دخلت البناية وكانت تلفُّها، وأنها تغمرها بالطمي وتملأ أذنيها بضوضاء الحشرات غير المحتملة حتى تحولت هي إلى غابة، إلى جذع، إلى طحلب، إلى طين، إلى كل شيء في الوقت نفسه، وهناك تلتقي مع الكلبة التي تلعق وجهها لتحيِّيها. حين استيقظت كانت لا تزال وحدها. في الخارج تسقط عاصفة عنيفة، برياح من التي تضرب الأسقف، ورعد يجعل الأرض تهتزُّ: تسلّل الماء من الشقوق وطفا داخل البناية.

فكَّرت في روخيليو الذي كان في مركب بائس في وسط ثوران هذا الإعصار، بلا شيء أكثر من سترة نجاة، بطبقة من المطر وبعض قطع البلاستيك ليحتمي بها، لكنها قلقت أكثر على الكلبة، هناك في الجبل، مُبَلَّلةً، مُتجمِّدَةً من البرد، ميِّتةً من الخوف وهي ليست معها لتنقذها، وعادت للبكاء.

عند منتصف صباح اليوم التالي صفا الجوُّ واستمرَّت داماريس في البحث عن الكلاب.

اليوم مظلم ومنعش وقد أمطرت السماء بشدة حتى أن كل شيء كان غارقًا عادت -سيرًا بين المياه- إلى الأماكن التي مرَّت بها الليلة الماضية، لكن المطر الشديد قد محا آثار الأقدام كذلك لم تكن هناك آثار في الطريق الرئيسي الذي كان غارقًا كغيره وقد قطعته كاملًا. زارت الجيران لتحذرهم ولكي ينتهبوا إلى كلابهم: إلى حراس بيت المهندس الذين كانوا من أهل القرية ولم يولوا الموضوع اهتمامًا، وإلى أخوات السيدة تولوا، اللاتي يعشقن كلبتها ولذلك شاركنها الحزن ودعونها للغداء.

في المساء ذهبت إلى أرض السيِّدة روسا التي كانت بلا شغل منذ مات السيد خيني وساءت صحتها العقلية. قبل موت زوجها كانت السيدة روسا تنسى أسماء الناس، وتفقد أشياءها، وتتصرَّف تصرُّفات تثير ضحك الناس، كأن تعيد طلاء عينيها وفمها أو أن تحفظ الهاتف المحمول في المُبرِّد. بموت السيد خيني تفاقمت حالة السيدة روسا.

لم تكن تعرف في أي عامٍ هي، وتظن أنها لا تزال عزباء في مدينة كالي، وتأخذ في الرقص على النشيد الوطني أو تظن أنها وصلت حديثًا للجُرف مع زوجها وأنهما ينتظران مواد البناء ليشيِّدا البيت بدأت تتيه داخل

الأرض، ويظل فمها مفتوحًا تنظر كحمقاء لأوقات طويلة، وتتحدث إلى الحوائط وحتى أنها نسيت شرب الكحول، هي التي كانت تحب الأجوا أردينتي[٩] كثيرًا وتشربه كل يوم تقريبًا.

لأنها كانت بلا أولاد، جاءت ابنة أخ لها لترعاها وتحمل مسؤولية كل شيء وضعت عمَّتها في دارٍ للمُسنِّين في مدينة كالي وعرضت الأرض للبيع أثناء بيعها، ظلَّت الفتاة تدفع لداماريس وروخيليو كما كانت تفعل عمَّتُها، لكي يرعيا الأرض قام هو على الحدائق والإصلاحات وهي على تنظيف البيت.

كانت الكلبة تذهب مع داماريس إلى تلك الأرض كل أسبوع منذ جاءت إلى الجُرف، ففكَّرت أنها ربما تكون في أكثر مكان تحب أن تستلقي فيه، على المصطبة الإسمنتية في الفناء الخلفي الذي يظل منعشًا وجافًّا بغض النظر عن حالة الجوِّ.

لم تكن الكلبة هناك ولا في أي مكان آخر في تلك الأرض، التي كانت أكبر أرض في الجُرف بحثت داماريس فيها كلها: البيت، والحدائق، وسلالم المدخل، وخط الجرف الطويل، والطريق إلى القناة، والقناة التي كانت - للمطر الشديد- تنحدر بعنف وتنسكب من فوق جدار السدِّ الذي بناه المرحوم خيني.

لم تطلع الشمس في اليوم الثاني كذلك، واشتد المطر حتى انتصف النهار. خرجت داماريس بعد الغداء، تحت مطر خفيف - وإن لم يُرَ أو يُحسَّ على الجسد- كان يبلِّلُ، وقطعت الطرق الفرعية التي لا يسلكها

[٩]- الأجوا أردِينتي مشروب كحولي يصنع بغلي وتقطير كحول مُخمَّر، وهو واسع الانتشار في كولومبيا وعادة ما يُحضَّر من تخمير اليانسون. (المترجم).

سوى الصيَّادين وقاطعي الأشجار كذلك لم تر آثار الكلاب صفا الجوُّ عند منتصف المساء، لكن السماء لم تنفتح وظلَّ اليوم رماديًّا وباردًا.

عند عودتها تعثَّرت بغزو من النمل، آلاف وآلاف تتقدم في الغابة كجيش. كان النمل أسود ومتوسط الحجم يخرج من أعشاشه تحت الأرض ويقضي على كل الحشرات الحيَّة أو الميتة التي يجدها. اضطرَّت للجري لكي تتجاوزه، لكن بعض النمل استطاع تسلُّق جسدها وبينما كانت تنفضه عن نفسها قرصَها في يديها ورجليها. رغم أن القرص يحرق كالنار، فإن الألم كان يمرُّ سريعًا ولا يترك علامات وصل الغزو إلى البيت بعدها بربع ساعة، وصعدت داماريس على كرسي بلاستيكي وضمَّت رجليها بينما كان يقوم بعملية التنظيف بعد ساعتين لم يبق أثر للنمل ولا للصراصير التي أخرجها من مخابئها وحملها معه.

تلك الليلة انخفضت درجة الحرارة لدرجة أن داماريس اضطرت أن تلتحف بفوطة، وكانت المادة الأسمك التي لديهم في البيت. رغم ذلك لم تمطر. في اليوم الثالث استطاعت الشمس أن تكسر الغيوم، وامتلأت السماء والبحر بالألوان وبدأت الحرارة في الارتفاع. حين أوشكت داماريس على الخروج جاء روخيليو، وبعد دقائق قليلة، من ناحية الجبل، دخلت الكلاب. جاءت متسخة، منهكةً وأنحف قليلًا. تحمَّست داماريس، إلا أنها على الفور أدركت أن العائدين ليسوا سوى دانجير وأوليبو وموسكو، فأخذت في البكاء.

رغم أن روخيليو جاء جائعًا وتعِبًا بعد خمسة أيام في عرض البحر، فقد ذهب معها إلى الجبل. وجدا آثار الكلاب الثلاثة في الطريق الرئيسي وتبعاها حتى المخزن حيث ينتهي الجرف ويوجد خليج آخر للبحر لا بد أن الكلاب عبرته سباحة. لم يريا أي أثر للكلبة.

ظلّ روخيليو يصحب داماريس كل يوم. ذهبا لما وراء المخزن ومزرعة الأسماك ودخلا إلى أراضي القوات المسلحة التي كان محظورًا تجاوزها. تصبح الغابة هناك أكثر ظلمةً وغموضًا، بأشجار ذات جذوع واسعة كثلاث داماريس مجتمعات، وأرض من الأوراق شديدة العمق حتى أن أحذيتهما ذات الأعناق أحيانًا تدفن حتى منتصفها.

يخرجان بعد الغداء، ويعودان عند المغيب أو في الليل، ميِّتين من التعب، بآلام في الجسد من الجهد، وخدوش من النباتات القاطعة، وقد لدغتهم الحشرات وتصبَّبا عرقًا أو عادا مُبلَّلين عندما تمطر.

يومًا ما أدركت داماريس -هي وحدها، دون أن يضغط هو عليها أو يثبِّطها بتعليقاته- أنهما لن يجدا الكلبة أبدًا. كانا أمام حفرة ضخمة في الأرض يدخل منها البحر. كان البحر عاليًا، والأمواج تتصادم غاضبة بالصخور، ونافورة المياه التي ترتفع منطلقة تتناثر عليهما. يقول روخيليو إنهما ليعبراه عليهما أن ينتظرا حتى يصبح الموج أقل غزارة، ثم يهبطا إلى الحفرة فيصعدا على جدار الصخور على الجانب الآخر، محترسين ألا ينزلقا؛ لأن الصخور مغطاة بالحمَأ. لم تنصت إليه داماريس. كانت قد عادت إلى مكان وزمان موت نيكولاسيتو وأغلقت عينيها وهي تشعر بالاضطراب.

الآن يقول روخيليو إنهما يستطيعان كذلك أن يفتحا طريقًا بمنجليهما الماتشيتى ليسيرا حول الحفرة، لكن المشكلة أن ذلك الجانب مليء بالنخيل الشوكي. فتحت داماريس عينيها وقاطعته قائلة:

ـ الكلبة ماتت.

نظر إليها روخيليو دون أن يفهم.

فشرحت هي:

ـ هذه الغابة مُرعبة.

يوجد الكثير من الأجراف كهذا، بصخور مغطاة بالحمأ وأمواج كالتي خطفت المرحوم نيكولاسيتو، بأشجار ضخمة تقتلعها العواصف من جذورها وتشقُّها البروق شقّين، بانهيارات أرضية، وأفاعٍ سامّة وأفاعٍ تبتلع الأيائل، وخفافيش تمص دماء الحيوانات، ونباتات ذات أشواك يمكن أن تخترق الأقدام، وقنوات مياه يرتفع منسوبها أثناء الأمطار الغزيرة فتجرف كل ما تجده في طريقها... وفوق كل هذا، فقد مر عشرون يومًا منذ رحلت الكلبة، الكثير من الوقت.

قالت داماريس مرة واحدة دون بكاء:

ـ لنعد إلى البيت.

اقترب منها روخيليو، ونظر إليها متأثِّرًا ووضع يده على كتفها. تلك الليلة وصلا مباشرة لإقامة علاقة وكانت كأنهما لم يمضيا عشر سنوات منذ المرة الأخيرة. أذنت داماريس لنفسها بالتفكير أن هذه المرة قد تحمل، لكنها ضحكت من نفسها صباح اليوم التالي، فقد أتمّت الأربعين، وهو العمر الذي تجف فيه النساء.

قال لها خالها ذلك في حفلة من التي كان ينظمها وهم يعيشون في البيت ذي الطابقين في القرية كان ثَمِلًا وبلا قميصٍ، جالسًا خارج البيت مع مجموعة من الصيادين، حين مرَّت من أمامهم امرأة من القرية كانت

طويلةً، وتمشي بفخر تهزُّ أردافها، ويصل شعرها -المكويّ- حتى منتصف ظهرها. لطالما أعجبت بها داماريس. أتبعها الصيّادون جميعًا أبصارهم ورشف الخال رشفة، ثم قال:

ـ كم هي مثيرة، رغم أنها قد تكون في الأربعين، السن التي تجف فيها النساء.

فكَّرت داماريس الآن وهي تشعر بالمرارة:

ـ لقد كنت كذلك دائمًا.

لأيامٍ ظلَّت هي وروخيليو متَّحدين. هي تحكي له ما يحدث في مسلسلات المساء، وهو يحكي لها ما رآه وفكَّر فيه أثناء صيده البري والبحري وتقليمه العشب. كانا يذكران أشياء من الماضي، ويضحكان، ويعلقان على الأخبار ومسلسل المساء، ويذهبان للنوم معًا كأول الأمر، حين كانت هي في الثامنة عشرة ولم تبدأ المعاناة بعد لأنها لا تستطيع الإنجاب.

ذات صباحٍ، وهي تحضِّر الفطور في الكشك، انزلق من يديها أحد أكواب العصير التي اشتراها روخيليو في رحلته الأخيرة إلى بوينابينتورا. فقال بضيق:

ـ لم تكمل حتى شهرين، إن يدك فعلًا ثقيلة.

لم تردَّ عليه داماريس، لكن تلك الليلة، حين أغلقا التلفاز وحاول الاقتراب منها، تجنَّبَتْه ودخلت الغرفة التي كانت تنام فيها وحدها. ظلَّت تنظر إلى يديها لوقت طويل. كانتا ضخمتين، ذات أصابع واسعة، وكفِّين ناشفتين وجافَّتين، خطوطهما شديدة الوضوح كأنها شقوق في الأرض. كانتا يدي

رجل، يدي عامل بناء أو صيَّاد قادر على سحب أسماك ضخمة. في اليوم التالي لم يقل أيٌّ منهما «صباح الخير»، وعندها عادا للابتعاد، ولعدم نظر أحدهما إلى وجه الآخر، وإلى النوم منفصلين وعدم الكلام إلا للضرورة.

لم تبك داماريس على الكلبة بعدها، لكن غيابها كان يؤلمها في صدرها كأنه حجر.

تفتقدها في كل وقت حين تعود من القرية ولا تجدها عند نهاية السلالم تهز لها ذيلها، وحين تجهز السمك ولا تظهر لتنظر إليها بإصرار، وحين تحفظ البقايا دون أن تحتفظ بأفضلها لها أو حين تتناول قهوتها في الصباح دون أن تربِّت على رأسها. ظنّت أنها رأتها مرات كثيرة: في جِوال جوز هند أسنده روخيليو على البناية، في حبال ربط القوارب التي يكوِّمها في الكشك، في حزمة حطب جديدة وضعها إلى جوار الفرن، في الكلاب الأخرى، نباتات الحديقة، ظلال الأشجار في المساء، وفي السرير الذي ظلَّ في الكشك مثلما تركته الكلبة، فإن نفس داماريس لم تطعها على التخلص منه.

قال لها السيد خايمي إنه يأسف كثيرًا للأمر، كأن أحد أقاربه قد مات، وشكرت له داماريس أن يأخذ مشاعرها على محمل الجد أمام السيدة إلوديا، وهي تحكي ما حدث، شعرت بالذنب على سماحها أن تذهب الكلبة، وعدم استمرارها في البحث وفقدانها الأمل. استمعت إليها السيدة إلوديا في صمت، وبعدها تنهَّدت تنهُّدَ المُسلِّم للحياة. من البطن التي أتت بأحد عشر جروًا لم يبق سوى كلبها، والآن حين تذهب داماريس إلى القرية الأخرى تتجنّب المرور بالحانة لأن رؤيته تؤلمها. لأن آخر ما تحتاج إليه في ذلك الوقت هو سماع تعليقات لوسميلا السلبية لم تخبر

أحدًا من عائلتها بشيء، ولا حتى الخالة خيلما لكن لوسميلا عرفت على أي حال التقى روخيليو -ذات مساء أثناء عودته من الصيد- مصادفة في جمعية الصيادين التعاونية بزوجها، ولكي يتحدثا عن شيء ما حكى له قصة الكلبة كلها، اختفاءها وبحثهما الطويل عنها. تلك الليلة اتصلت لوسميلا بداماريس، وقالت لها:

ـ لذلك فأنا لا أحب تلك الحيوانات.

لم تفهم داماريس إن كان ذلك لأنها قد تضلُّ في الجبل أو لأنها تموت، لكن بدلًا من أن تطلب منها شرحًا سألتها إن كانت تحدَّثت مع أبيها في ذلك الأسبوع.

كان موت السيد خيني شديد الغموض لم يعرف أحدٌ قطُّ ماذا حدث له ولا كيف انتهى به الحال في البحر في ذلك الوقت كانت حركته قد شُلَّت بالكامل من المرض، ولا يستطيع تحريك شيء سوى أصابعه اعتقد أغلب الناس أنه انتحر ملقيًا بنفسه على الكرسي المتحرك من الجرف، لكن داماريس وروخيليو كانا يعرفان أن ذلك مستحيل. ليس لموتور الكرسي القوة لذلك، وفي حالة أن السيد خيني حاول ذلك، لكان انتهى مشتبكًا بنباتات الإيكاكو التي تنمو على الحافة، كالمرة التي لم يستطع فيها كبح الكرسي في الوقت المناسب واضطر روخيليو لإخراجه بذراعيه. ظنت جماعة من الناس أن السيدة روسا دفعته، البعض يقول إنها فعلت ذلك شفقة، والآخرون يقولون لكي تتخلص منه.

بدا لروخيليو من الممكن أن السيدة روسا قد دفعته، لأنها في ذلك الوقت كانت قد فقدت رشدها ذلك الشيء الأخير صحيح، لكن داماريس كانت متأكدة أنها مهما بلغ بها البَلَه فلم تكن هي إن لم تؤذِ فئران الجبل التي

تبني أعشاشًا في خزانتها، والجنادب التي تأكل ملابسها، ولا فراش الليل الضخم الذي يبدو خفافيش أكثر مما يبدو فراشًا ويفزعها في الليل، فهل ستقتل زوجها؟

على أي حال، فحين ضلَّ السيد خيني بكرسيِّه المتحرك ولم يجدوا أي علامة في الجرف، كان روخيليو أول من قال إنه ليس على البرِّ. رجال القرية الذين كانوا يساعدون في البحث عنه لم يفهموا. فشرح هو ناظرًا إلى السماء:

ـ إن كان هنا على السطح لامتلأت هذه السماء بالنسور السوداء.

كان الأمر صحيحًا لدرجة أن الرجال نظر بعضهم لبعض قائلين «لكن كيف لم نفكر في ذلك من قبل؟»، وشعرت داماريس بالفخر بزوجها.

رأت داماريس جثّة السيد خيني ما إن أخرجوها من البحر وأحضروها إلى الشاطئ. بدا أكثر بياضًا مما كان في حياته، هذا رغم أنه كان شديد البياض، أنصع البِيض الذين عرفتهم داماريس. كانت بشرته مقشَّرة في بعض أجزائها كبرتقالة، وأصابع يديه وقدميه أكلتها الحيوانات، وثقبا عينيه فارغين، وبطنه منتفخًا وفمه مفتوحًا نظرت داماريس إلى داخله كان ينقصه اللسان، وصعد ماء أسود إلى حنجرته كانت رائحته عفنة وبدا لها أنه في أي لحظة قد تصعد أسماك من بطنه أو يزهر منه نبات متسلّق. ظلَّ مفقودًا واحدًا وعشرين يومًا، وكان -بعد المرحوم نيكولاسيتو- ثاني أكثر جسد تأخَّر البحر في إعادته.

ظهرت الكلبة حين لم يعد أحد يحدِّث داماريس عنها في ذلك اليوم استيقظت مبكِّرًا مع ضوضاء مراكب الصيَّادين التي كانت تخرج نحو

البحر المفتوح من الخليج حيث يتركونها أثناء الليل كان اليوم غائمًا لكن دون مطر، وداماريس قلقة، إذ ليس لديهما سوى سمكةٍ واحدة للطعام. بمجرد أن فتحت باب البناية لتذهب إلى الكشك رأتها في الحديقة، بجوار نخلة جوز الهند. كان أول ما فكَّرت فيه أن عينيها تخدعانها مرة أخرى، لكن الآن كانت هي بجدٍّ، شديدة النحافة ومبتلَّة كلها.

نزلت داماريس من البناية. بدأت الكلبة تهزُّ لها ذيلها وعادت هي للبكاء. وصلت إلى جوارها وانحنت لتعانقها. كانت رائحتها كريهة. فحصتها داماريس، فوجدت بها قُرادًا، وقَطْعًا في الأذن، وقرحة غائرة في القدم الخلفية، وعلامات على ضلوعها. ظلَّت داماريس تنظر إليها دون توقُّف لم تستطع تصديق أنها عادت ولا أنها بهذه الحالة الجيدة بعد كل ذلك الوقت في الجبل قد مرَّ ثلاثة وثلاثون يومًا، اثنا عشر يومًا أكثر من المدة التي ظلَّ السيد خيني فيها مفقودًا، ويوم واحد فقط أقل من نيكولاسيتو، لكن لأن الكلبة لم يردَّها البحرُ بل الغابة، كانت حيَّةً. حيَّةً! لم تتعب داماريس من ترديد ذلك في رأسها.

ـ إنّها حيَّةً!

قالت بصوت مرتفع حين خرج روخيليو من البناية.

ظلَّ هو مندهشًا لرؤيتها لدرجة أنه لم يستطع قول شيء. قالت داماريس:

ـ إنها التشيرلي!

فقال هو:

ـ ها أنا أرى ذلك.

اقترب، نظر إليها من رأسها إلى ذيلها، وربَّت بكفِّه على خاصرتها. بعد ذلك أخذ بندقيَّتَه وذهب للصيد في الجبل.

نظَّفتها داماريس، وطهَّرت جروحها بكحول، وجَهَّزت حساء سمك قدَّمته لها برأس سمكة، مما جعلها تظل دون طعام. بعد ذلك نزلت إلى القرية وطلبت من السيد خايمي -دون خجل؛ فذلك الشهر لم يستطيعا سداد دفعة من دين ما كان يبيعه لهما بالأجل- أن يقرضها مالًا لتشتري جوسانتريكس -مرهم يحميها من الديدان ـ أعطاها السيد خايمي المال دون مزاح، وعلاوة على ذلك باع لها بالأجل نصف كيلو من الأرز وقطعتي دجاج.

أرسلت داماريس تطلب من ابنة لوسميلا التي ستسافر إلى بوينابينتورا ذلك اليوم أن تحضر الجوسانتريكس لأنه لا يوجد في أي من القريتين، دون أن يهمها ما تفكر فيه أو تقوله ابنة خالها.

وصل الجوسانتريكس في المركب الأخير، وخصصت داماريس الأيام التالية لتغطية جروح الكلبة بالمرهم، وتغذيتها بأحسية، وتدليلها.

التأمت جروح الكلبة وسمنت، لكن داماريس ظلَّت تعاملها كأنها ضعيفة، ولم تعد تحترس في مناداتها بتشيرلي أو في تدليلها أمام أحد، ولا حتى أمام لوسميلا حين جاءت لتحتفل بعيد الأم.

جاءت لوسميلا بعائلتها كلها، زوجها، وبناتها، وزوج ابنتها، وحفيداتها وحتى الخالة خيلما، التي رفعوها محمولة على الأذرع على السلالم وأرقدوها على أحد الكراسي الطويلة في شرفة البيت الكبير حضَّروا شوربة

سانكوتشو دجاج على نار الحطب في الكشك، وملأوا حمام السباحة وتحمّموا لم يقل أحدٌ: «يا لنا من متجرِّئين!»، غير أن داماريس ظنّت أن الجميع لا بد يفكّر في ذلك، ورغم أنها كانت تضحك من النكات وتلعب مع البنات، فلم تكن تقضي وقتًا طيّبًا شعرت بالخزي مما قد يظنُّه الناس لو رأوهم في هذه اللحظة محتلّين لبيت عائلة ريِّيس. كانت الخالة خيلما تروِّح عن نفسها في كرسي الشرفة الكبير كملكة، وروخيليو مُمدَّدًا على كرسي آخر بجوار حمام السباحة، ولوسميلا وزوجها جالسين على حافته يشربان من زجاجة أجواردِينتي، والبنات يقفزن في دوائر في الماء، وداماريس التي خرجت من الماء لتوِّها تسير كعارضة أزياء تاركةً خطًّا من الماء على رصيف الأحجار بمؤخرتها الضخمة وسروال الليكرا القصير والبلوزة ذات الشرائط الباهتة التي تستخدمها كلباس سباحة أو للعمل. قالت داماريس لنفسها إنه لا يمكن لأحد أبدًا أن يظنَّهم المُلّاك. كانوا جماعة من السود الفقراء سيئي الملابس يستخدمون أشياء الأغنياء. يعدّون أنفسهم سواء، هذا ما سيظنُّه الناس، وداماريس تريد الموت لأنه بالنسبة إليها كانت تلك الصفة شديدة البشاعة ولا تجب، كارتكاب جريمة أو كزنا المحارم.

جلست على الأرض وفردت رجليها وأسندت ظهرها إلى حائط الكشك. ارتمت الكلبة إلى جوارها، ووضعت رأسها على عضلتها وجعلت هي في تدليلها. نظرت إليهما لوسميلا منكرة برأسها وبعدها ذهبت لتعطي روخيليو كأسًا. سألته:

ـ هل نزعوك من سريرك ليضعوا الكلبة؟ لأنها في الغداء وضعت لها أفضل قطعة دجاج.

لوسميلا مبالغة. نعم قدَّمت داماريس بعض شوربة السانكوتشو للكلبة، لكن لم تمنحها سوى الجلد وجزءٍ من قطعتها. ردّ روخيليو:

. ليس بعد، لكن لا أعلم لماذا تنفق وقتها على هذا الحيوان الذي قد جرَّب الجبل وأضاع نفسه. إنَّني أقول لها إنها ستظلُّ تهرب.

كان روخيليو على حق. عادت الكلبة للهروب يومًا ذهبا فيه إلى بيت السيدة روسا. تركتها داماريس في الفناء الخلفي كما تفعل دائمًا وصعدت إلى البيت. فتحت الشبابيك والأبواب لتهويتها، وأزالت نسيج العناكب عن الأركان، والتراب عن الأثاث، وغسلت المطبخ والحمَّام، وكنست ولمَّعت الأرضيات ورشَّت مبيدًا في كل الغرف. أصبحت يداها كالكرتون وبها رائحة المواد الكيميائية.

حين انتهت ونزلت إلى البيت، عند حوالي الساعة الرابعة مساءً، لم تجد الكلبة. كانت السماء مُلبَّدة بطبقة من الغيوم السميكة وشديدة القرب حتى بدت كأنها ستسحق الأرض أحسَّت داماريس بالهواء ثقيلًا، وتخيَّلت أن الكلبة -إذ شعرت بالحرِّ وخافت المطر- قد عادت إلى البيت وصلت مباشرة لتبحث عنها، أرادت أن تقدم لها بعض الماء أخرجت الكلاب ألسنتها وكانت تحت البناية، ولم تكن الكلبة لم تجدها داماريس في أي مكان بحثت عنها تحت البيت الكبير، وعلى السلالم، وفي الحديقة، والكُشك... عرقت داماريس وشعرت بأنها تغرق من الحر ودَّت لو تصبُّ على نفسها ماء في غرفة الغسيل لتنتعش، لكن الأهم العثور على الكلبة نادت عليها بصرخات من كل أنحاء المِلك ودخلت قليلًا إلى الجبل لتستمر في مناداتها والبحث عنها. ظلَّت تفعل ذلك حتى أظلم الجو كثيرًا ولم تعد تستطيع السير حافية دون كشاف، ولا شيء.

حين عادت إلى البيت استحمَّت في غرفة الغسيل. كانت غاضبة أكثر منها قلِقَةً. أغضبها أن تذهب الكلبة، وأنها هذه المرة فعلته وحدها، دون تأثير من الكلاب الأخرى، وأن تجبرها أن تصرخ وتبحث عنها بهذه الطريقة، وأن تجعلها تشعر بالضيق والحزن، وأكثر شيء، أن يكون روخيليو على حق وتُضيّع الكلبة نفسها لذلك لم تحكِ له شيئًا حين عاد من الصيد بحزمة أسماكه، ولتتجنب أن ينتبه توقفت عن البحث عنها بالليل كانت غاضبةً لدرجة أنها لم تعر مسلسل الليل انتباهًا كان التلفزيون يبث الأخبار حين قررت الخروج لإلقاء نظرة أخيرة بحُجّة التأكد من أن السمك الذي أحضره قد حُفظ جيِّدًا.

رحلت الغيوم لمكان آخر وأصبحت الليلة صافية وباردة. بعيدًا، على البحر، لدرجة أنها لم تُسمع، كانت هناك عاصفة رعدية ذات بروق زرقاء وبرتقالية تسقط كخدوش على الظلام. عادت الكلبة. رقدت في سريرها وسعدت داماريس لرؤيتها، لكنها لم تُبدِ لها ذلك. قالت لها حين قامت الأخرى لتحيِّتها:

ـ بَسّ، كلبة سيِّئة.

خفضت الكلبة ذيلها ورأسها. فهدَّدتها داماريس:

ـ سأتركك دون طعام هذه الليلة.

لكنَّها ندمت على الفور ووضعت لها البقايا التي كانت قد حفظتها.

في الصباح التالي كانت الكلبة شديدة الوداعة ولم تفترق عن داماريس ولا دقيقةً واحدة. سامحتها وقررت أن روخيليو كان مخطئًا وأن الكلبة بها أمل. تسلَّحت بأحد حبال روخيليو لربط المراكب، وقيَّدتها من الرقبة

بنفس العقدة التي تستخدمها لغلق البوّابة، ثم ربطتها بأحد أعمدة الكشك، وجلست إلى جوارها وانتظرت في صبر أن تحاول الذهاب.

حين فعلت الكلبة ذلك وبدأت في شدِّ الحبل، أخذت داماريس تقول لها، برفق لكي تهدأ، كل ما تأمله منها: ألا تذهب مرة أخرى أبدًا، وأن تصبح من جديد كلبة مطيعة، وأن تتذكر جوع وبشاعات الأيام الثلاثة وثلاثين التي قضتها تائهة في الجبل، وألا تكون حمقاء وتتعلم من تلك التجربة. عاد روخيليو من الجبل في تلك اللحظة بعصيان كانا يحتاجانها لإصلاح البناية ونظر إلى المشهد بفزع. وقال:

ـ هل تريدين أن تقتلي هذا الحيوان؟

ـ لماذا تقول ذلك؟

ـ هذه العقدة سهلة التحرّك، ستشنق نفسها!

أسرعت داماريس إلى رقبة الكلبة بنيّة إطلاقها، لكن لأنها ظلَّت تتحرك في يأس، فقد ضاقت العقدة، ولم تترك الكلبة نفسها لداماريس. أبعدها روخيليو، وأمسك بالكلبة وأرقدها ثم أخذ منجله الماتشيتى. ارتعبت داماريس، لكن قبل أن يمكنها التصرُّف، قطع روخيليو الحبل وأصبحت الكلبة حرَّة.

بعد أن هدأت الكلبة وشربت، علَّم روخيليو داماريس كيف تربطها. لا مشكلة في أن تستخدم العقدة الجرَّارة لتتجنب خروجها، لكن لا يمكن لها أبدًا أن تربطها من الرقبة. بدلًا من ذلك، يجب أن تلفَّ الحبل على صدر الكلبة من الكتف حتى تحت القدم الأمامية من الناحية المعاكسة، بالضبط كما يعلّق الناس محافظهم.

أبقت داماريس على الكلبة مُقيَّدةً أسبوعًا كاملًا. كان الحبل طويلًا فيسمح لها بالبحث عن الظل بينما تتحرك الشمس، والوصول إلى العشب المحيط بالكشك لكي تقضي حاجتها. كانت داماريس تملأ وعاء الكلبة بالماء كلما أفرغته، وتعطيها الطعام إلى جوار العمود الذي كانت مربوطة إليه. في الليل تترك مصباحًا مشتعلًا كما كانت تفعل دائمًا لكيلا تعضَّها الخفافيش.

بعد مرور أسبوع، وقبل أن تطلقها، نظرت إلى عينيها وقالت لها: «سأرى». جرت الكلبة منطلقة كمُهر جامح وظنّت داماريس أنها ستهرب لم يكن الأمر كذلك حين تعبت عادت إلى الكشك مخرجةً لسانها، تناولت الماء وتمدَّدت إلى جوارها بدا لداماريس أن تلك إشارة جيدة، لكن على أي حال ظلَّت تراقبها لم تتركها تغيب عن نظرها، إن ابتعدت تناديها حتى تجبرها على العودة إلى جوارها وتربطها بالليل وحين تخرج إلى القرية أو تنشغل ولا تستطيع الانتباه لها.

لكن ليس سوى أن عادت داماريس تأمن للكلبة وترخي المراقبة قليلًا حتى هربت.

هذه المرة ظلت يومًا وليلة بالخارج ومنذ تلك المرة فصاعدًا لم يُجدِ شيء: لا ربطها شهرًا كاملًا، ولا إطلاقها دائمًا، لا العيش لمراقبتها، ولا القلق عليها، لا حرمانها الطعام عقابًا، ولا منحها طعامًا أكثر من العادة، لا معاملتها بقسوة أو إغداق الحنان عليها. عند أقل فرصة كانت الكلبة تذهب وتقضي ساعاتٍ أو أيامًا بالخارج.

لم يعلِّق روخيليو بشيء، لكن داماريس تتقطَّع لاحتمال أن يحدِّثَ نفسه قائلًا: «لقد قلت لها»، وبدأت تشعر بالضغينة نحو الكلبة. في

إحدى غياباتها، أزالت سريرها من الكشك وألقته من الجرف نحو مرمى قمامة قوارير زيوت المحرّكات وبراميل الوقود المكسورة التي كانت في الخليج. لم تعد تربِّت عليها، ولا تحفظ لها أفضل البقايا، ولا تجيبها حين تحرِّك لها ذيلها، ولا تودِّعها ليلًا، ولا حتى توقد لها ضوء الكشك حين عضَّها خفَّاش، لم تنتبه داماريس إلا لأن روخيليو لفت انتباهها لتيَّار الدم وسألها إن كانت تفكر في علاجها كان القطع في أنفها ولم تتوقف عن عن النزيف. ولأن داماريس ضمَّت كتفيها واستمرَّت فيما هي فيه، تصفِّي قهوة الصباح، فقد ذهب روخيليو ليبحث عن الجوسانتريكس في البناية ووضعه لها بنفسه.

التأم الجرح جيِّدًا وأصبح روخيليو الآن من يتأكد من ترك نور الكشك مضاءً بالليل ليس الأمر أنه تحمل مسؤوليتها، لكن من يطلع على الوضع من بعيد يظن أن الكلبة كلبته هو، وأن داماريس هي من لا تحب الحيوانات بدأ حضور الكلبة يزعج داماريس، برائحتها الكريهة، بحكِّها ونفضها نفسها، بأن يتدلَّى من فمها خيط من اللعاب، وبأن تلوِّث بأقدامها في أيام المطر أرضية الكشك وأرصفة حمَّام السباحة والحديقة. تمنَّت أن تذهب قريبًا، ألا تعود، أن تلدغها أفعى وتموت.

بدلًا من ذلك، توقَّفت الكلبة عن الهروب وهدأت. أصبحت تقضي أيامها حيث تكون داماريس، ممدَّدة في الكشك بينما تطبخ هي أو تطوي الملابس النظيفة، وتحت البيت الكبير بينما تنظفه داماريس، أو تحت البناية حين تشاهد مسلسلات المساء. يومًا ما وجدت داماريس نفسها تربِّت عليها كالأيام الخوالي. قالت لكي يسمعها روخيليو:

ـ ما أجمل كلبتي! لقد عقلت.

كان ذلك في آخر المساء وهي والكلبة جالستان على آخر درجة، وجهاهما إلى الخليج حيث الأمواج ترتفع مسرعة، ومظلمة، وصامتة مثل أناكوندا هائلة. كان هو على كرسي بلاستيكي قد أخرجه من البناية، ينظف أظافره بسكّين مطبخ. فقال:

ـ هذا فقط لأنها حامل.

وقعت هذه الجملة على داماريس كضربة في معدتها: أحسَّت أنها تختنق. لم تستطع حتى الامتناع عن قبول الأمر لأنه كان واضحًا. كان ثديا الكلبة منتفخين وبطنها دائرية وصلبة. من المذهل أنه اضطرَّ لإخبارها بذلك.

غمر داماريس الحزن وأصبح يكلّفها النهوض من السرير وتحضير الطعام ومضغ الأكل جُهدًا عظيمًا. تحسُّ بأن الحياة تشبه الخليج وقد كُتِب عليها أن تعبره سائرة وقدماها مدفونتان في الطين، ويصل الماء لخصرها، وحدها، وحدها تمامًا، بجسد لا يمنحها الأبناء ولا ينفع سوى في كسر الأشياء.

تكاد لا تخرج من البناية. تقضي وقتها حبيسة تشاهد التليفزيون من مرتبة وضعتها على الأرض بينما يعلو البحر وينحسر بالخارج، وينسكب المطر على العالم، والغابة -مُهدِّدةً- تحيط بها دون مرافقتها، مثلها مثل زوجها الذي ينام في غرفة أخرى ولا يسألها ماذا بها، وابنة خالها التي لا تأتي سوى لانتقادها، وأمها التي غادرت إلى بوينابينتورا ثم ماتت بعدها، أو الكلبة التي ربَّتها لا لشيء سوى لتهجرها.

لم تكن داماريس تحتمل رؤيتها يعذِّبها أن تجد بطنها أكبر في كل مرة تفتح باب البناية الكلبة تجتهد في أن توجد دائمًا هناك وتتبعها من البناية

إلى الكشك، ومن الكشك إلى غرفة الغسيل، ومن غرفة الغسيل إلى البناية... تحاول داماريس أن تفزعها. تقول لها «امشي»، «اتركيني»، حتى حاولت في إحدى المرات أن تجرب رفع يدها كأنها ستضربها، لكن الكلبة لم تفزع حتى، وظلت وراءها، بطيئة وثقيلة من الأبناء الذين تحملهم داخلها.

كانت ليلة شديدة المطر، لكن الجو حارٌّ في البناية. انقطعت الكهرباء وكانوا في ظلمة وبلا تليفزيون، والصالة ممتلئة بالبعوض. نسي روخيليو أن يجمع شعر جوز الهند ولم يكن لديهما ما يهشَّانه به. التفَّت داماريس -وقد عذَّبتها الحشرات- في ملاءة من رأسها حتى قدميها. جلست على أحد الكراسي البلاستيكية بجوار النافذة، دون أن تفتحها لكيلا يدخل الماء، وظلَّت تسمع المطر، طنين مستمرّ يُشبه صلوات الناس في جنازة. ارتدى روخيليو رداء المطر البلاستيكي وحذاءه ذا العنق وخرج من البناية قائلًا إنه يفضل الذهاب إلى الكشك حيث لا حوائط وعلى الأقل سينتعش برطوبة المطر. لم يمر وقت طويل حين انفتح الباب بخبطة. كان روخيليو دون رداء المطر مبتلًّا. أعلن:

ـ تولد الجِراء.

لم تتحرك داماريس من النافذة. وقالت له:

ـ وهل تظنُّ أن ذلك يهمُّني؟

نفى روخيليو برأسه.

ـ فعلًا قد أصبحتِ كئيبةً. أليست هذه الكلبةُ كلبتَكِ إذن؟ ألم تكوني تحبينها كثيرًا؟

لم تردَّ وعاد روخيليو للخروج.

رأت داماريس الجِراء في اليوم التالي حين شعرت بالجوع واضطرت للذهاب للكشك لتحضير الغداء. ارتجل لهم روخيليو سريرًا برداء المطر، وكانت الكلبة ترضعهم. كانوا أربعة، كلهم مختلفون وصغيرون جدًّا، عميان وعُزَّلًا كالكلبة يوم وجدَتْها في حانة السيدة إلوديا. تفوح منهم رائحة اللبن ولم تستطع داماريس المقاومة. أمسكت بهم واحدًا فواحدًا، وقرَّبتهم من أنفها لتستنشق الرائحة وضمَّتهم إلى صدرها.

اتَّضح أن الكلبة أمٌّ بشعة في الليلة الثانية أكلت أحد الجراء، وفي الأيام التالية كانت تترك الثلاثة الباقين مهجورين لتتشمَّس على رصيف حمام السباحة أو لتتمدَّد في غرفة الغسيل، حيث الجوُّ منعش دائمًا، أو تحت أحد البيوت مع الكلاب الأخرى، في أي مكان ما دامت ليست بقربهم. كان على داماريس أخذها بالقوة، وإعادتها مرة أخرى إلى الكشك وإجبارها على البقاء مستلقية لكي يستطيعوا الرضاعة.

أتمّوا أسبوعين حين اضطرَّت داماريس أن تشتري لهم لبن بودرة لأن الكلبة لا تطعمهم بشكل كافٍ وكانوا يعيشون صارخين من الجوع. لم يكونوا قد أكملوا الشهر حين عادت الكلبة للهروب، ولأنها لم تعد فقد اضطروا لتعلم أكل البقايا. حين عودتها -بعد عدة أيام- كان لبنُها قد جفَّ، فتخلَّت عنهم تمامًا.

كانت الجراء تقضي حاجتها في الكشك، وعلى الأرصفة والسلالم، وفي كل مكان إلا على العشب، والآن أصبح على داماريس -فوق أعمالها الأخرى- السير وراءهم لتنظيف قاذوراتهم في أحد الأيام حين ذهبت لتنظيف بيت السيدة روسا وظلَّت بالخارج طوال المساء لم تفرغ

للاعتناء بهم حين عاد روخيليو من الصيد داس مادَّة لزجة، ورغم أنه كان يرتدي شبشبًا والشيء الوحيد الذي تلوَّث كان أسفل النعل، فقد غضب وقال صارخًا إنه في المرة القادمة لن يكون مسؤولًا عن ردود أفعاله.

لم يدُس روخيليو أي روث بعدها، لكن بعد أيامٍ قليلة قفز عليه أحد الجراء ليعضَّ قدميه بأسنانه التي كالإبر فركله ركلة ورماه على سور البناية.

صرخت فيه داماريس:

- متوحِّش!

ثم ذهبت للاعتناء بالجرو. كانت الأنثى، أكثرهم لعبًا، تلك الكرة من الشعر الأسود ببقعة بيضاء على عينها.

أكمل روخيليو طريقه دون أن يعتذر أو يلتفت ليرى ماذا حدث. رغم أنها اصطدمت بشدة وغابت عن الوعي، فقد استجابت الجروة سريعًا، وبعد دقائق قليلة عادت للعب مرة أخرى.

في اليوم التالي بدأت داماريس تبحث لهم عن بيت.

أكبرهم، الذكر أحمر الشعر وكبير الأذنين، أخذوه في بعض الكبائن للسيّاح تقع عند المصعد نحو القرية الأخرى. الذكر الآخر، الرمادي قصير الشعر كأمِّه، تبنَّته أخت لامرأة السيد خايمي لم يكن أحد يريد الأنثى ليس في المنطقة أطباء بيطريُّون ولا طريقة لتعقيم الحيوانات، والناس لا تحب رعاية الإناث في فترة الشبق ناهيك عن القيام على صغارها رأت داماريس في مرات كثيرة من الجرف كيف يلقون إلى الخليج ببطن كامل من الكلاب أو القطط لكي يحملها الموج.

تعاونت السيدة إلوديا في البحث وذكَّرتها أن خيمينا موجودة، وأنها فقدت كلبها ومنذ البداية كانت تريد أنثى. لم يكن مع أي منهما أو أي أحد تعرفانه رقم هاتفها، لذلك ذهبت داماريس حتى موقع صناعاتها اليدوية في الجانب الآخر من القرية لتسألها إن كانت مهتمّة.

قالت خيمينا إنها متحمِّسة جدًا واتفقتا أنها ستمرُّ لتأخذ الجروة اليوم التالي. لأنها لا تعرف الطريق نحو الجرف، شرحت لها داماريس وتبادلتا أرقام هواتفهما. انتظرتها داماريس طوال اليوم، لكن خيمينا لم تأت قطُّ. اضطرَّت داماريس -إذ لم تملك رصيدًا في هاتفها- أن تنتظر إلى الصباح التالي عند هبوط الموج وذهبت لشراء حوائجها، لكي تتصل بها من هاتف المكالمات التي يبيعها السيد خايمي. لم تردَّ خيمينا ولم تذهب كذلك لتأخذ الجروة ذلك المساء ولا الأيام التالية.

مرَّ أسبوع آخر. كانت الجروة في عمر بشع. تطلب طعامًا أكثر من الكلاب الكبيرة، وتقضي وقتها في عضِّ أقدام داماريس، وظلَّت تتبرَّز في أقل الأماكن مناسبة وتخرِّب كل ما يعرض لطريقها، رِجْل كرسي، أحذية الخروج الوحيدة لدى داماريس، أقمشة المطبخ، وعوّامة صنّارةِ صيدٍ لروخيليو ألقتها داماريس من الجرف دون أن ينتبه هو لكي لا يعاقبها. حين سألها روخيليو إن كانت رأت الصنّارة، قالت له لا، فنظر لها نظرة شكٍّ، لكنه لم يقل أو يفعل شيئًا.

عند ذلك حدَّثت داماريس نفسها بأنها تتفهَّم الناس الذين يلقون بالجِراء للأمواج، وحاولتْ أن تقنع نفسها بأن ذلك ما كان عليها فعله، حين أحاط بها حامل حقائب يعمل في الميناء كان قد سمع أنها تهدي بعض الكلاب الصغيرة وأراد أن يعرف إن بقي لديها منهم قالت له داماريس إن لديها أنثى واحدة . سألها هو في حسم:

ـ متى يمكنك أن تسلميها لي؟

فكَّرت داماريس في الاتصال بخيمينا لتتأكد من أنها لم تعد تريدها، لكن -رغم أنها كانت في منطقة الميناء حيث هناك الكثير من بائعي المكالمات ـ قرَّرَت ألا تفعل ماذا لو لم تردَّ ويندم حامل الحقائب على أخذ حيوانٍ قد وعدت به شخصًا آخر؟ والأسوأ من ذلك، أن تردَّ، وتؤكِّد أنها ستذهب لتأخذه كما فعلت من قبل ثم لا تذهب أبدًا؟

قالت داماريس:

ـ إن أردت نذهب الآن مباشرةً لنحضرها.

كان البحر منحسرًا، لذلك عبرا الخليج سيرًا، والماء يصل إلى كواحلهم. لم يذهب هو قطُّ من قبل إلى الجرف. ظلَّ فمه فاغرًا إعجابًا بحمّام السباحة، والحدائق، والمنظر المطل على البحر والجُزُر والخليج. ولم يقل كلمةً واحدةً عن البيت الكبير. وشرحت داماريس:

ـ منذ حوالي عشرين عامًا ولا يرسل المُلّاك من أجل الدهانات ولا من أجل أي شيء.

فقال هو:

ـ من المعجزة أن يبقى البيتُ قائمًا.

سلّمته داماريس الجروة وذهب هو مبتسمًا، يربِّتُ عليها.

ظلَّت داماريس تشاهده من الأعلى. كان شديد القُبح، بعلامات بثور في وجهه، ونحيفًا لدرجة أنه يبدو مريضًا، ناجيًا من كل أنواع الملاريا. امرأته

كانت أسمن من داماريس، وعلى الأقل أكبر منه بعشرين عامًا، لكنهما دائمًا يسيران في القرية متشابكي الأيادي. فكَّرت داماريس في أنهما بالتأكيد يريدان الكلبة بشدة؛ إذ أنهما كذلك بلا أبناء، وتساءلت إن كان ذلك ما أبقى عليهما متَّحدين.

تأخَّرت خيمينا في الظهور أسبوعًا آخر، أي خمسة عشر يومًا منذ قالت إنها ستذهب من أجل الجروة كانت داماريس تنظِّف حمّام البناية حين سمعت نباح الكلاب وخرجت لترى ماذا يحدث كانت الكلاب عند آخر الدرج، دانجير منتصب الشعر يزمجر، وموسكو وأوليبو على جانبيه، يدعمانه في نباحه. تسمَّرت خيمينا مشلولة الحركة على بعد عدة أمتار إلى الأسفل، عند آخر مصطبة من السلالم. هدَّأت داماريس الكلاب التي تفرَّقت، وانتهت خيمينا من الصعود.

كان البحرُ منحسرًا، وقد عبرت سيرًا وابتلَّت رجلاها وشبشبها وغمر الطين قدميها. بالإضافة إلى ذلك كانت مخضخضةً وعرقانة. يُرى أن المسيرة من القرية الأخرى، وعبور الخليج، وصعود السلالم، والفزع من الكلاب قد استنفد كل هذا طاقتها.

عرضت عليها داماريس ماءً، لكنّها أظهرت لها الحقيبة التي كانت تحملها، وقالت:

ـ معي هنا.

ثم أضافت على الفور بنفاد صبر:

ـ لقد أتيت من أجل جروتي.

كانت يدا داماريس مطليَّةً بالمبيِّض فجفَّفتها بقميصها. وخجلى، شرحت لها أنها إذ لم تأت لتأخذها ولم تردَّ على مكالمتها، فقد أعطتها لشخص آخر.

ـ أعطيت جروتي لشخصٍ آخر؟!

أومأت داماريس فاشتعلت خيمينا غضبًا قالت لها إن إهداءها حيوانًا ليس لها كان القشَّة الأخيرة، وأنه لم يعد ملكها في اللحظة التي عرضته عليها وقبلته هي، وأن داماريس تعرف جيِّدًا جدًا كم كانت ترغب في تلك الجروة، وأنها كانت تحلم بأنها على وشك تحمل مسؤوليتها، وأنها قد أعدَّت لها سريرها، ورتَّبت طريقةً لتُحضِر لها الطعام من بوينابينتورا، وأنَّه كان عليها على الأقل القيام بواجب إبلاغها ألا تأتي لكي تتجنَّب المسيرة بنت العاهرة إلى ذلك المكان الخرائي الذي يقع وراء آخر دوائر الجحيم.

هادئةً، أجابت داماريس أنه ما من حاجة للتلفُّظ بألفاظ خارجة، ومن جديد حاولت إعلان أسبابها، لكن خيمينا لم ترد سماع أي شيء ولا تحمُّل شطر المسؤولية الذي وقع عليها وقاطعتها قائلة:

ـ حسنًا، سآخذ آخر إذن.

ظلَّت داماريس صامتةً وعيونها في الأرض.

قالت خيمينا مستفهمةً:

ـ ماذا يحدث؟ ألم يعد لديك أكثر؟

نفت داماريس برأسها.

ـ كانوا ثلاثةً فقط، وحين عرضتُها عليك لم يكن لديَّ سوى الأنثى.

نظرت إليها خيمينا كأنها تحاول أن توقع عليها كل اللعنات، وبدا لداماريس أن تلك النظرة تطول وقتًا كثيرًا. قالت خيمينا أخيرًا:

ـ وجب عليك الاتصال بي قبل أن تعطي جَرْوَتي لشخص آخر.

ـ لقد فكَّرتُ في ذلك، لكن كما أنك لم تردِّي عليَّ المرة السابقة...

ـ ماذا؟ استنتجتِ أنني لن أردَّ كذلك الآن؟

أخفضت داماريس صوتها:

ـ أو أنَّكِ لم تعودي راغبةً في الجروة.

ـ لقد تصَرَّفتِ بسوءٍ شديد، وجب عليك الاتصال بي، إنَّكِ تعرفين ذلك.

لم ترد داماريس قول أي شيءٍ آخر، فما من جدوى استدارت خيمينا لترحل فتواجهت والكلبة، التي كانت تأتي صاعدة السلالم مؤخرًا كانت تهرب ليس فقط إلى الجبل بل كذلك إلى القرية، ورغم أنها تكره الماء، فقد تعلَّمت عبور الخليج سباحةً، حتى والبحر في أعلى منسوب له. كانت أقدامها ملوَّثة بالطين وتقطر ماءً. خيمينا، التي لم تعد غاضبةً، نظرت إلى داماريس. وسألتها:

ـ أهذه هي أمُّ الجِراء؟

قالت داماريس:

ـ نعم.

. ما أجملها! هكذا كنتُ أتخيَّل كلبتي. ما أحزن ذهابي بيديَّ فارغتين.

أكملت خيمينا طريقها. أخذت الكلبة تهزُّ ذيلها لداماريس ودامارياس تبغضها. ظلَّت أسبوعًا كاملًا بالخارج والآن تعود لتجعل كل ما تلمسه قذرًا.

في تلك الليلة ظلَّت داماريس تنظر إلى الكلبة دون ضغينة، وبعد وقت قيَّدتها، بل إنها مرَّت بيدها على ظهرها كما لم تفعل منذ ما قبل أن تنجب الجِراء.

في الصباح التالي هبطت إلى القرية بها مُقيَّدةً. كان البحرُ منحسرًا ومنخفضًا لأقل درجة. سارتا على الشاطئ، الذي كان شاسعًا ورماديًّا كالبحر والسماء تمامًا. كان الصيّادون قد خرجوا بمراكبهم وليس على الشاطئ سوى بعض الأطفال المشاكسين والعرايا يلعبون بين القمامة أمطرت السماء بغزارة طوال الليل والآن لم يبق سوى مطر خفيف لم يمنع الناس الخروج إلى الشارع وممارسة الحياة كأنه ما من مطر على الإطلاق كان المطر دائمًا منعشًا ونظيفًا حتى ليبدو أنه يطهِّر العالم، لكنه في الواقع المسؤول عن أن كل شيء يقبع مُغطًّى بطبقة من العفن: سيقان الأشجار، وعواميد الميناء الخرسانية، وأعمدة الكهرباء، وأوتاد البيوت الخشبيَّة، وألواح الحوائط وأسقف الزنك والصخر الحريري.

وهما تتقدَّمان، كانت الكلاب الكسالى تخرج من تحت البيوت والمطاعم، وتقترب لتشمَّ الكلبة، ولإثارة ضغينة داماريس، كانت تهزُّ ذيلها لهم جميعًا، مظهرةً أنها تعرفهم. شعرت داماريس بالراحة أن السيدة إلوديا ليست بالحانة، فلم تكن لتعرف كيف تشرح لها ما ستفعله.

تركا الشاطئ، وصعدا من الشارع المرصوف، وتقدَّما عبر خطٍّ من البيوت والمحلَّات والفنادق الخشبية الصغيرة الأقل تداعيًا من فنادق الشاطئ، بواجهاتها المطلية باللّكِّ أو المدهونة بالألوان، وحدائق الأوركيد. عبرا المطار العسكري وحديقة الحيتان، التي يمكن منها رؤيتها تقفز في الموسم[١٠]، ووصلتا إلى القرية الأخرى.

لم تزل السماء غائمة، لكن لم تعد تمطر، وكانت خيمينا تنصب موضع بضائعها اليدوية. ترتِّب السلع على قماشة القطيفة بحرصٍ شديد كأنها رسمت الخيوط باستخدام مسطرة. رأتهما تقتربان بغرابة، وزادت غرابتُها حينما توقَّفتا أمامها.

ـ أنتما ماذا تفعلان هنا؟

ـ أتيتُ لأحضرها لكِ.

سألت خيمينا مندهشةً:

ـ الكلبة؟

فقالت داماريس:

ـ إن تقبَّلتِها منِّي.

[١٠]- في النصف الثاني من العام، تهاجر آلاف الحيتان التي تسكن النصف الجنوبي من المحيط الهادئ، هربًا من صقيع القطب الجنوبي وشواطئه، وتقضي شهورًا في شواطئ المحيط الهادي الكولومبية، وبعضها يصعد أكثر نحو الشمال وتُعد رؤية الحيتان المهاجرة أحد أهم أسباب السياحة في إقليم التشوكو الذي تقع فيه أحداث الرواية. (المترجم).

ـ أكيد نعم.

انفعلت خيمينا وانحنت لتربِّت عليها.

ـ كيف لا أقبَلُها وهي أخت كلبي سيمون!

لكنَّها فجأة توقَّفت ورفعت رأسها لترى داماريس بريبة.

ـ لماذا تعطينها لي؟

ـ لأنكِ تريدينها أكثر مني.

فأرضى التفسير خيمينا. وقالت:

ـ أنت لديك الكثير من الكلاب في بيتك.

ثم عادت للتربيت عليها، وسألتها:

ـ ما اسمها؟

ـ تشيرلي.

فقالت خيمينا بنصف لسان وهي تلامس رأسها وظهرها:

ـ أهلا تشيدلي، أهلاااً كلبتي الصغيغة الجميلة والعثل، كيف حال حضرتك؟[١١]

[١١]- هذه العبارة مكتوبة على لسان الشخصية في الأصل بطريقة توحي بنطقها الخاطئ لبعض الأصوات والكلمات.

هزَّت لها الكلبة ذيلها.

حذَّرتها داماريس:

ـ يجب عليك تقييدها. على الأقل حتى تعتاد، وإلا فستهرب منك.

قالت خيمينا:

ـ طبعًا.

على الرغم من ذلك، فقد عادت الكلبة إلى بيت الجُرف بعد يومين كانت داماريس تشاهد مسلسلًا واضطرت لمقاطعته لتخرج من البناية بكل سرعة وتفُزِع الكلبة لكيلا تظن أنها مرحَّب بها أشارت لها بكل أنواع إشارات وأصوات التهديد، لكن الكلبة لم تكن تخافها، والشيء الوحيد الذي حقَّقته هو أن تدخل الكلبة تحت البيت الكبير. حين حاولت إخراجها بمكنسة، لجأت إلى المركز حيث لا يمكنها أن تطالها، ولا حتى بعصا الشبكة الطويلة التي تنظف بها حمام السباحة.

لو كان لديها رصيد في الهاتف لاتصلت بخيمينا لتقول لها أن تأتي من أجل كلبتها، وانتهت من المشكلة واستمرَّت في مشاهدة المسلسل. لكن لأنها لا تملك رصيدًا، فقد فقدت صبرها وجعلت تشتمها في دماغها. تقول لها «امرأة غبية»، «إدمانك هو ما يجعلك هكذا، ألم أقل لك أن تقيِّديها؟»، «آه، قيَّدتِها» ظلَّت تقول كأن خيمينا تردُّ عليها، ثم تقول «فقد أسأتِ تقييدها، حمقاء، غبيَّة. هل ملأت وجهك التجاعيد وابيضَّ شعرك ولا تستطيعين ربط عقدة خراء؟». كانت داماريس تلفُّ حول البيت الكبير، قابضةً على عصا تنظيف حمام السباحة الطويلة بيدٍ، وباليد الأخرى تشوِّح وتومئ بوجهها كأنها في خضمِّ جدال حقيقي مع أحد.

كان روخيليو قد غادر لتقليم عشب مِلك السيِّدة روسا، لكنَّه لو رآها في تلك اللحظة لظنَّ أنها مجنونة.

فجأة عرفت داماريس ما عليها فعله. أرخت العصا وتركتها مُلقاة على الرصيف. ذهبت إلى غرفة الغسيل، ملأت أكبر دلو لديهما بالماء، وأمسكت وعاءً على شكل باندا، وعادت إلى البيت الكبير، انحنت إلى النقطة التي تصبح فيها الكلبة أقرب إليها وبدأت ترشُّها بالماء لم يتدفَّق الماء بقوّة عليها بل بالكاد كان رذاذًا، لكن الكلبة تكره السوائل لدرجة أن ذلك يكفي لإخراجها من هناك. ذهبت الكلبة إلى الحديقة وانتظرت داماريس حتى شردت الكلبة لتأتي إليها من خلفها وتُفرغ الدلو فوقها.

فزعةً، قفزت الكلبة ثم نظرت إلى داماريس نظرة كلبيَّةً حيرى أو ربَّما مرعوبة وبدأت في الابتعاد عنها، عن التي كانت قبل ذلك حليفتها والآن ترتكب ضدَّها الخيانة الأكبر أخفت الكلبة ذيلها وجعلت تُدير رأسها كل حين، حاميةً ظهرها منها، فبدا لداماريس أنَّه قد انكسر بينهما الآن شيء لا يمكن إصلاحه. وبخلاف المتوقّع فقد آلمها ذلك.

كانت هذه كلبتَها: أنقذتها بنفسها، وحملتها في حمّالة صدرها، علَّمتها كيف تأكل، وكيف تقضي حاجتها في الأماكن المناسبة، وكيف تتصرَّف كما يجب حتى نضجت ولم تعد تحتاجها. تبعتها داماريس في الحديقة كلها حتى السلالم ورأتها تهبطها، وتعبر الخليج -الذي كان جافًّا-، وتصل إلى الضفَّة الأخرى، وتنفض نفسها، ثم تكمل طريقها بين الأطفال العائدين من المدارس وتضيع في القرية دون أن تنظر ولا مرَّة واحدة خلفها. لم تبكِ داماريس، لكنَّها أوشكت على ذلك.

في الصباح التالي، عادت الكلبة إلى الكُشك، مستلقيةً في النقطة التي كان سريرُها دائمًا عندها. ما إن رأت داماريس حتى قامت وابتعدت. حين حاولت داماريس الاقتراب منها للإمساك بها، خرجت الكلبة من الكُشك دون أن يهمَّها المطر الشديد. عند ذلك تصنَّعت داماريس أنها لا تهتمُّ بها، وأخفت الحبل السميك، وأشعلت النار وجعلت تحضِّر القهوة دون أن تنظر لها أكثر.

لم تكن الكلبة لتبقى وقتًا طويلًا تحت الجزء الخارج من سقف الكُشك حيث يتناثر الماء الذي يقطر من السقف ويبلّلها، في حين يمكنها أن تكون جافة ومحميَّةً بالداخل مدخل ذلك الجانب يقع بجوار النار، وانتظرت داماريس بصبر حتى دخلت الكلبة وعندها أمسكت بها، ولفَّت الحبل حول عنقها كما تفعل مع البقر أخضعتها بشدِّ العقدة العقدة الجرَّارة وعندها فقط استطاعت الاقتراب، وإرخاء الحبل ووضعه لها كما علَّمها روخيليو بتمريره تحت إبطها لتتجنَّب أن يشنقها.

في الليل أمطرت السماء مطرًا من أسوأ الأمطار ورغم أن شدَّته خفَّت، فلم ينبئ أيُّ شيء باقتراب صفاء الجو. كان البحرُ لا يزال عاليًا، ويهبط باندفاعٍ، جارفًا عِصيًّا وأفرعًا.

استيقظ روخيليو منذ وقت، لكنه لم يخرج من البناية. حين رأى داماريس والكلبة تمرَّان باتجاه السلالم، أطل برأسه من النافذة.

سألها مندهشًا:

ـ هل ستخرجين؟

قالت له داماريس أن نعم، وأنها تركت له القهوة في الكُشك.

- إلى أين ستذهبين؟

- لأترك الكلبة وأتسوَّق.

- تتركينها أين؟

- عند سيدة أهديتها لها.

- أهديت الكلبة؟ لماذا؟

سألها روخيليو وهو ينظر إليها دون فهم.

رفعت داماريس كتفيها، وظل هو يسأل:

- ولا يمكنك الانتظار حتى يتوقف المطر وينحسر البحر؟

فقالت هي:

- لا.

أنكر روخيليو برأسه كأنما يرفض، لكنه لم يحاول إقناعها ولم يستمر في البحث عن تفسير. قال:

- أحضري لي أربع بطاريات للكشاف.

هزَّت داماريس رأسها بالإيجاب وأكملت طريقها بالكلبة. كان من المستحيل عبور الخليج بها في القارب، لذلك عبرتاه سباحةً، متجنِّبتين بقايا العاصفة. حين وصلتا إلى الجانب الآخر، عادت داماريس إلى الجرف. لم يزل روخيليو مطلًا من النافذة وكان ينظر إليهما.

سارتا الطريق كله حتى القرية الأخرى تحت المطر ووصلتا مبتلَّتين ترتعشان: لم يكن في الشارع أحد من بائعي الأعمال اليدويَّة، لا خيمينا ولا السكان الأصليون، وذهبت داماريس إلى المحل الكبير الذي يقع بعد عدة أمتار الشاب الذي كان يعمل، فتى طويل القامة، وملوَّن العينين، قال لها إنه يظن أن خيمينا تعيش في نواحي أرَّاستراديرو، وهي ذراع بحرية شديدة الطول تصل إلى ما وراء القرية الأخرى.

في محل آخر، قبل المنعطف الذي يفضي إلى أرَّاستراديو بالضبط، عادت داماريس للسؤال وتأكدَّت من أن خيمينا تعيش في الشارع الذي يؤدي إليه المنعطف، في بيت صغير أزرق اللون يُرى على اليسار قبل الهبوط إلى المرسى. حينها كان المطر قد خفَّ، وعندما وصلتا توقف بالكامل.

بدا بيت خيمينا غريبًا لدرجة لا يمكن تصديقها، كأنه بيت عرائس في وسط الطريق إلى أرَّاستراديرو الذي كان عبارة عن مستنقع من طين. بيت مدهون حديثًا بألوان حيَّة، الجدران بأزرق كهربي، والباب والنوافذ وحوافَّ الشرفة والسقف بالأحمر. كان الباب مفتوحًا ويخرج من داخله أغاني ريجيتون بأعلى صوت.

صعدت داماريس إلى الشرفة واستطاعت رؤية داخل البيت. يقع المطبخ في آخره، مفتوحًا على الصالة. كانت هناك امرأة تقلِّب محتوى إناء على الموقد. بدت في سنِّ خيمينا، ربَّما أصغر قليلًا، وتشبهها. في الصالة، هالكيْن على الكنبة، كان هناك فتيان من القرية، أسودان، دون قمصان وبلا أحذية. أحدهما يرتدي سروالًا داخليًّا وشعره مضفَّر ضفائر

صغيرة، والآخر حليق الرأس، وفي رقبته سلسلة بلين بلين[١٢]، وبنطلون جينز أزرق مقصوص. كانت خيمينا أمامهما، على مقعد من الخشب، ببيرة في إحدى يديها وسيجارة في اليد الأخرى. رأسها مطأطأ وشعرها أشعث. كانت الساعة في حدود التاسعة صباحًا ووجوههم جميعًا وجوه سكارى أو مخُدَّرين أو كليهما معًا.

حيَّتهما داماريس قائلة:

ـ صباح الخير.

لكن أحدًا لم يرد. فقالت بصوت أعلى:

ـ توك توك.

التفت إليها الفتى الذي يرتدي السروال الداخلي، فتعرَّفت عليه داماريس. كان أحد أحفاد السيدة إلوديا. جذب الفتى انتباه خيمينا فنظرت إلى الباب وفحصت بعينيها الغائمتين داماريس والكلبة. أطفأت السيجارة في مطفأة ناضحة بالأعقاب، وقامت متوجهة نحوهما في تذبذب، خفيفة القدمين، كأنها قد تطير في أي لحظة. حين وصلت، أمسكت بالباب. وقالت بلسان ثقيل:

ـ كلبتي الصغيرة، لا تخبريني بأنك أتيتِ لي بها من بيتك؟

ـ نعم، سأخبرك.

[١٢]- البلين بلين اسم سلسلة يرتديها مغنُّو الراب أو الريجيتون وتكون عادةً من الذهب أو الجواهر أو تقليدًا رخيصًا لهما. وتُسمّى كذلك نسبة إلى الصوت الذي يصدره معدن السلسلة عند صرصرة بعض أجزائه بالبعض الآخر. (المترجم).

ـ لقد ذهبَتْ في غمضة عين حين غفلتُ وتركتُ الباب مفتوحًا.

ـ إنها في بيتي منذ مساء الأمس.

ـ كنت سأذهب في إثرها، لكن جاء بعض الأصدقاء للزيارة- وأشارت خيمينا بإيماءة إلى الشابَّيْن.

ـ الكلبة مسؤوليتك.

ـ أنا أعرف.

ـ قيِّديها، احبسيها، أبقي الباب مُغلقًا... افعلي ما عليك فعله، لكن لا تتركيها تهرب.

ـ لا.

ـ أتمنى ألا تكون هناك مرة قادمة، لكن إن حدث، فلن أعيدها إليك.

أثناء سُكرها كانت خيمينا وديعة ومرضية، أبعد ما تكون عن خيمينا المشاحنة وهي في وعيها. قالت:

ـ لا تقلقي، سأتولى الأمر.

عرضت داماريس عليها الحبل. أخذته خيمينا وانحنت بنيَّة التربيت على الكلبة، لكنها انتهت واقعة على الأرض. آخر ما رأته داماريس قبل أن تبتعد في الطريق كانت خيمينا جالسةً على الأرض برجليها المفتوحتين مثل عروسة من القماش، والكلبة بذيلها بين قدميها ووجهها نحو داماريس، تنظر إليها مفجوعة، كأنها تركتها في المذبح.

مرَّت داماريس ببقالة السيد خايمي واشترت رصيدًا للمحمول، وغيار بطاريَّات لكشَّافها وكشَّاف روخيليو، وأطعمة كثيرة. وصلهم في ذلك الأسبوع مرتَّب الاعتناء ببيت السيدة روسا، واصطاد روخيليو سمكًا كثيرًا بشبكة الصيد وباعه بسعر جيد في الجمعية، لذا فقد استطاعت دفع تلك المشتريات، وكل ما كان عليهم من دين بنقود مبلَّلة أخرجتها من حمّالة صدرها، ولم تزل معها نقود أخرى تتسوَّق بها للأسبوع التالي.

في الليل أخذت في الطبخ. قَلَتْ بعض السمك وحضَّرت حساءً، وأرزًا، وسلطة. تركت جزءًا من الطعام لإفطار وغداء اليوم التالي، وعبَّأت الباقي لروخيليو، الذي سيذهب للعمل في مركب الريح والموج. كانت المركب بالأسفل، طويلة ومُحمَّلة بكل معدَّات الصيد، وجاهزة ليصعدوا على متنها. شعرت داماريس بنفسها سعيدة. من الممكن أن يظل هو عدة أيام بالخارج، وهي تتمنَّى ذلك الوقت من الوحدة.

ذهب روخيليو قبل أن تشرق الشمس، ونامت داماريس لوقت متأخر. ذلك اليوم لم تفعل شيئًا بما أنها كانت قد طبخت فلم تضطر حتى لتحضير الطعام وضعت المرتبة في صالة البيت وأخذت في مشاهدة التلفزيون لم تستحم، ولم تنهض إلا للذهاب إلى الحمَّام، وللأكل، وإطعام الكلاب حين وقفت عند باب البيت تنظر إليها بإصرار أكلت هي مباشرةً من الأواني، ومارست العادة السرِّية مرَّتين، مرة في الصباح والأخرى في نهاية المساء، وشاهدت كل المسلسلات، والأخبار، وبرامج الرياليتي حتى حلَّ الليل، وضربت عاصفة شديدة برياح إعصاريَّة وبروق شديدة القرب، وانقطعت الكهرباء فوقعت في النوم.

في اليوم التالي لم يكن هناك ما يدل على استمرار العاصفة. استيقظت داماريس بمعنويات مرتفعة، وقرَّرت أنها ستنظِّف البيت الكبير تنظيفًا

عميقًا، فارتدت سروال الليكرا القصير وبلوزة الحمَّالات الباهتة التي تستخدمها للعمل. في الصباح ركَّزت على الحمّام والمطبخ. أفرغت الخزانات والأدراج لتنظيفها من الداخل، نظَّفت الأواني وبقية أدوات المطبخ الأخرى، وأزالت دهون زجاج النوافذ والمرآة، ودعكت حوض الأطباق، والاستحمام، وحوض الوجه، والأرضيات والحوائط، وبيَّضت البلاط والفراغات بين البلاطات. كانت بعض البلاطات متكسِّرة، وعلى المرآة الكثير من النقاط السوداء الصغيرة بفعل الرطوبة، وأحواض الغسيل والأطباق بها بعض بُقع الصدأ، لكن بقية الأشياء تلمع مما جعل داماريس تتأمل عملها في رضا. عزيزي القارئ.. ما دمت تقرأ هذه الرواية فكن على يقين بأن قناة ضَاد هي من قامت بتوفير هذه النسخة! لذا تأكد من أنك تقرأها من قناتنا الرسمية على تطبيق تيليجرام. نعتذر على مقاطعتك، نتمنى لك قراءة ممتعة).

انتصف النهار فذهبت إلى الكُشك لتحضِّر طبقها المُفضَّل: الأرز ببيضة مقليّة، وشرائح من الطماطم المملحة ودوائر محمَّصة من الموز الأخضر. أكلت على مهل، وهي تنظر إلى البحر الذي كان أزرق وهادئًا بعد العاصفة. جعلت تفكر في عائلة ريِّيس، الذين عليهم أن يعودوا في وقت ما، وليتهم يعودون في يوم كهذا ويجدون البيت الكبير أثناء وردية تنظيف وهي عرقانة ومتسخة، في سروالها الليكرا القصير وبلوزة عملها ذات الحمّالات، لكي يدركوا أنها عاملة جيدة حتى وهم لا يدفعون لها بيسو واحدًا.. يا لها من شخص جيِّد!

تذكَّرت في النهاية نيكولاسيتو، ضحكته، ووجهه، وشقلباته في حمامات السباحة... اليوم الذي وقَّعا فيه اتفاقًا ومدّا أيديهما، بجدِّيَّة شديدة،

كأنهما بالغان، واليوم الذي شرح لها فيه أن الحيوانات والطفل الموجودين في رسومات ستائر وملاءات غرفته كانت من فيلمه المفضَّل، الذي كان اسمه كتاب الغابة، وهو كتاب يحكي عن طفل يضيع في الغابة وتنقذه الحيوانات.

عندها سألت داماريس حيرى: «هل أنقذته الحيوانات؟»، وحين أجابها نيكولاسيتو بنعم، نمِرٌ وقطيع من الذئاب، فقهقهت داماريس ضاحكة لأن ذلك من المستحيل.

حتى وإن بدت سعيدة، فقد كانت ذكريات بشعة لأنها تأخذها دائمًا إلى المكان نفسه. وكان هو، أبيض ونحيفًا، أمام الجرف. قالت لنفسها: «ملعونة الموجة التي أخذته». لا، ملعونة هي التي لم توقفه، لم تمنعه، التي ظلَّت هناك، دون أن تفعل شيئًا، دون حتى أن تصرخ.

عادت داماريس تشعر بثقل الذنب كأن الوقت لم يمر. معاناة عائلة ريِّيس، وجلدات عمِّها، نظرات الناس الذين يعرفون أنها -وهي تعرف الجرف وأخطاره- كان يمكنها تجنُّب المأساة، وكلمات لوسميلا التي ألمحت بعد شهور -قبل أن تنام، في قلب ظلمة الليل- أن داماريس كانت تحسد نيكولاسيتو. قالت: «لأنه كان يملك أحذية ذات أعناق طويلة للسير في الوحل». غضبت داماريس، وردَّت عليها: «من كانت تحسده هي أنت»، ولم تعد للحديث إليها حتى اعتذرت لها لوسميلا.

الآن ظلَّت داماريس لوهلة غائبةً، نظرتها مثبَّتة على إسمنت الأرضية المصقول، تفكِّر في أمها، في اليوم الذي ذهبت فيه إلى بوينابينتورا وتركتها مع خالها إلييسِر. كانت داماريس في الرابعة من عمرها، مرتدية فستانًا صغيرًا عليها ورثته، ولها ضفيرتان قصيرتان منتصبتان أعلى رأسها

كالأسلاك الهوائية. في تلك الفترة لم يكن هناك مرسى ولا لانشات سريعة، ليس إلا مركب يأتي مرة في الأسبوع ويصعد الناس على متنه في قوارب صغيرة على الشاطئ. كانت داماريس وخالها على الرمل وأمها عند الخط الذي تنكسر عنده الأمواج، مشمِّرة سروالها لا بد أنها كانت على وشك ارتقاء القارب الصغير الذي سيحمها إلى المركب، لكن ما تحتفظ به داماريس في ذاكرتها هي أمها مبتعدةً على قدميها داخل البحر حتى تغيب عن نظرها كانت هذه الذكرى إحدى أقدم ذكرياتها، ودائمًا ما تجعلها تشعر بالوحدة وتبكي.

كفكفت داماريس دموعها ونهضت. غسلت الأطباق وعادت إلى البيت الكبير لتكمل العمل. أنزلت الستائر من الصالة والغرف. حملتها إلى المغسل، وفصلت ستائر المرحوم نيكولاسيتو، التي تغسلها وحدها دائمًا، بحرص شديد ورقَّة. كان غسل الستائر عملًا شاقًّا يتطلب جهدًا عضليًّا وتفانيًا، وبخاصة ستائر الصالة التي كانت ضخمة، إذ تغطّي نافذة كبيرة تمتد من الأرضية إلى السقف ومن الحائط إلى الحائط الآخر لم يكن المغسل كبيرًا، وعليها أن تغسل الستائر على أجزاء، بظهر منثنٍ ويدين تدعكان بقوة، مرة بعد أخرى حتى تزيل الرغوةُ الوسخَ ويجري الماء صافيًا، وهكذا بكل أجزاء الستارة، يوجعها ظهرها، ويدا الرجل الخرقاوان اللتان تفركان بلا توقف، وهي تفكر أنهم لا يدفعون لها مقابل هذا العمل، وأنه صحيح أنها حسدت نيكولاسيتو، لكن ليس على حذاء الوحل ذي الرقبة ولا على الأشياء الجميلة التي امتلكها، القمصان

الجديدة والألعاب التي يحضرها له الطفل يسوع[١٣]، ستائر ومفارش كتاب الغابة، بل لأنه كان يعيش مع أبويه، السيد لويس ألفريدو الذي كان يقول له: «يا بطل، هيّا نلعب رِست[١٤]»، ودائما ما يتركه ينتصر، والسيدة إلبيرا، التي تبتسم حين تراه آتيًا وتمرِّر يدها على شعره لترتِّبه له. كذلك قيل إنها استحقَّت كل نظرات السوء من الناس، وكل الشكوك والاتهامات وكل جلدات خالها إليي سِر، الذي كان عليه أن يجلدها أكثر مما فعل وبغضب أشدَّ.

حين انتهت لم يبق سوى القليل على الغروب وكانت منهكة من التعب ظل البحر هادئًا كحمّام سباحة لا نهائي، لكن داماريس لم تنخدع هي تعلم جيِّدًا جدًّا أن ذلك البحر هو الحيوان الشرير الذي يبتلع ويبصق الناس استحمَّت في المغسل، ونشرت الستائر على حبال الكشك لكي تجفَّ، وأكلت بقايا الأرز الذي كان في الإناء أدركت أنها لم تر الكلاب وبحثت عنها لإطعامها، لكنها لم تجدها في أي مكان ذهبت إلى البيت دون أن تبدِّل ملابس العمل، واستلقت على المرتبة أمام التلفاز لتستريح بعض الوقت، لكنها غفت نائمة في وسط المسلسل نومًا عميقًا بلا اضطراب، شبيهًا بالموت، استمرَّت فيه حتى الصباح التالي.

---

[١٣]- الطفل يسوع أو «niño Dios» هو اعتقاد لدى الأطفال في بلدان أمريكا الجنوبية وبعض أجزاء إسبانيا أنه هو من يحمل إليهم هدايا عيد الميلاد المجيد، مثل اعتقاد الملوك المجوس في إسبانيا، وبابا نويل في بلدان أخرى. (المترجم).

[١٤]- هو تحدٍّ يتواجه فيه شخصان كل منهما يضع كفَّه في كفِّ الآخر، وذراعاهما منحنيتان، ولا يلمسان السطح سوى بمرفقيهما، والفائز من يستطيع جعل ظهر يد الآخر تلمس السطح الذي يلعبان عليه. (المترجم).

لم تمطر السماء وكان الجو ذلك الصباح جميلًا. أطفأت داماريس التلفاز، الذي ظلَّ مفتوحًا طوال الليل، وفتحت نوافذ البيت لكي تدخل الشمس، وخرجت نحو الكشك بنيَّة تحضير قهوة. لكنَّ ما وجدته جمَّدها. ستائر المرحوم نيكولاسيتو على الأرض، متَّسخة بالطين ومقطَّعة. انحنت داماريس لتجمعها وظلَّت بقطعة منها في يدها. كانت ممزَّقة لدرجة أنه من المستحيل إصلاحها. ستائر كتاب الغابة، كتاب نيكولاسيتو! عندها رأت الكلبة. كانت في آخر الكشك، مستلقية بجوار فرن الحطب، وراء الستائر الأخرى، التي لم تلمسها وكانت ما تزال منشورة.

غاضبةً، أمسكت داماريس بحبل لربط المراكب، وعقدت فيه عقدة جرَّارة، وخرجت من الكشك من الجانب المؤدي إلى حمام السباحة، ثم دارت حوله، ودخلت من جانب الفرن وربطت الكلبة من خلفها، قبل أن تستطيع الانتباه إلى ما يحدث لها شدَّت الحبل لكي تضيق العقدة، مكافحة بكل قوتها بينما كانت الكلبة تتلوّى أمام عينيها اللتين بدتا وكأنهما لا تسجِّلان ما تريانه، وأن الشيء الوحيد الذي سجَّلتاه كان ثديي الحيوان المنتفخين.

قالت لنفسها: «إنها حامل مرة أخرى»، واستمرَّت في الشدِّ برغبة متزايدة، تشدُّ وتشدُّ، حتى بعد أن وقعت الكلبة عيِّيَّةً بوقت طويل، وتكوَّرت على الأرض وتوقَّفت عن الحركة. تناثرت بركة صفراء من البول نافذ الرائحة ببطء نحو داماريس وأخذت تطول وتنحف بمرور الوقت حتى وصلت إلى قدميها الحافيتين. عندها فقط تحرَّكت داماريس. أرخت الحبل، وابتعدت عن البول، واقتربت لتلمس الكلبة بإحدى قدميها، وبما أنها لم تتحرك، فقد اضطرت لقبول ما فعلته.

مذعورة، فكَّت الحبل ونظرت إلى الكلبة الميِّتة، وبركة البول الطويلة والحبل الممتد على الأرض كثعبان. نظرت إلى كل شيء في رعب، وكذلك في نوع من الرضا كان من الأفضل عدم الاعتراف به ودفنه وراء المشاعر الأخرى. منهكةً، جلست داماريس على الأرض.

لم تعرف كم ظلَّت هكذا. بدا لها الوقتُ أبدًا. حينها اقتربت على أربعٍ من الكلبة لتحاول إرخاء الحبل حول عنقها. لم تستطع ذلك وبنهاية أبدٍ آخر نهضت، وأمسكت بسكينٍ كبير واستخدمته لقطع الحبل. تحرَّرت الكلبة وشعرت داماريس برغبة في التربيت عليها، لكنها لم تفعل ذلك. نظرت إليها فقط. كانت تبدو نائمة.

بعدها رفعتها بين ذراعيها اللتين كانتا تؤلمانها من الجهد، وحملتها إلى الجبل.

تركتها بعيدًا داخل الجبل، ما بعد قناة الماء، بجوار شجرة الجوابو[١٥]، حيث الأرض مغطاة بأوراق الشجر وزغب أزهار الشجرة الأبيض كان مكانًا جميلًا يحمل لها ذكريات جيِّدة، فهي والمرحوم نيكولاسيتو ولوسميلا قد تسلقوا هذه الشجرة عددًا لا يُحصى من المرات بحثًا عن الثمار. قبل أن تعود، تأملت الكلبة للحظات وكأنها تصلِّي.

طوت داماريس ستائر المرحوم نيكولاسيتو ووضعتها في حقيبة بلاستيكية، وحفظتها في خزانة غرفته، بين ملابسه وكرات النفتالين. آلمتها النافذة العارية وتخيُّلها رد فعل عائلة ريِّيس حين يدخلون إلى غرفة ابنهم الميت ويلاحظون غياب الستائر. كذلك فكرت في روخيليو، وأنه

[١٥]- شجرة تنمو في أمريكا الوسطى والجنوبية وثمارها تشبه الفول ولها مذاق كمذاق الآيس كريم. اسمها العلمي إنجا إدوليس. (المترجم).

بالتأكيد سيقول لها شيئًا مثل «أشم رائحة ذلك الحيوان فيما حدث». قالت: «كلبة ملعونة»، وهي ذاهبة لتُحضِر ملاءة قديمة لتغطي النافذة، وأضافت «استحقت ما لقيت».

لم تكن قد انتهت بعد من تنظيف البيت الكبير. بقي لها تنظيف الدواليب، وتلميع الأرضية الخشبية، وغسل فراش السرير، لكنها في ذلك اليوم لم تمتلك معنويات لفعل أي شيء آخر، ولا حتى الطبخ أو الأكل، ولأن الكلاب لم تعُدْ فلم يكن عليها إطعامها. استلقت على المرتبة، وعادت لقضاء يوم كامل كنباتٍ جامد أمام التلفزيون، ولم تستطع النوم ولا حتى بعد حلول الليل بكثير، بعد أن بدأ المطر وانقطعت الكهرباء.

كان سيلًا قويًّا، لكن لأنه لم تصحبه رياح فقد كان يقع بانتظام وبشكل عمودي على السقف المصنوع من الصخر الحريري، يدقُّه كمطرقة، ويخنق كل الأصوات الأخرى، وكل الأحاسيس الأخرى، وأحست داماريس بأنها لن تستطيع تحمُّله دقيقة واحدة أكثر. لم يكن باستطاعتها أن تنزع من رأسها ما حدث، الصراع الذي خاضته الكلبة، وهي تثني ذراعها لتضيق الحبل وتثنيه، شادَّةً بكلِّ قوتها، مقصِّرة الحبل حتى لم تعد هناك مقاومة بعد. إذن فقد كان ذلك هو القتل. فكَّرت داماريس أنه لم يكن صعبًا ولا يستغرق وقتًا طويلًا.

حينها تذكَّرت المرأة التي قطَّعت زوجها بفأس ووضعت الأشلاء لنمر، وفي الأخبار أطلقوا عليها «اليَغْوَر»[١٦] كان قد مات في محمية بجنوب منطقة سان خوان وكان النمر محبوسًا في قفص قالت المرأة إنها لم تقتله، وإنه قد مات بلدغة أفعى، ولأنهما كانا بعيدين عن كل شيء وبلا

[١٦]- اليغور أو النمر الأمريكي هو الممثل الوحيد لجنس النمور في أمريكا الجنوبية (المترجم).

وسيلة تواصل لم تعرف ماذا تفعل بالجثة لم تستطع دفنه لأن التربة في تلك الغابة جافة وشديدة الصلابة مما جعل من المستحيل شقُّ حفرة بالحجم الذي تحتاجه، وقبل أن تلقي به إلى البحر أو تتركه لتأكله النسور السوداء، فضَّلت أن تعطيه للنمر الذي كان دائم الجو علم يصدقها أحد. إن امرأة قادرة على تقطيع جسد زوجها ومنح أشلائه لنمر كانت مليئة بالغضب لدرجة أنها لا بد قد قتلته.

حين توقَّفت الشرطة المسؤولة عن المنطقة من سان خوان إلى مدينة بوينابينتورا في القرية، ذهب الناس جميعهم لرؤيتها عند المرسى. كانت مُقيَّدة، وشعرها الأسود الطويل يسقط على وجهها، لكن رغم ذلك استطاع الجميع رؤية عينيها. كانتا عينين عاديَّتين لهما لون القهوة، عيني امرأة بيضاء لم يكن أحد ليتذكرهما في ظروف أخرى.

رغم ذلك، فإن نظرتها التي لم تخفضها قطُّ، والتي أبقت عليها موجهة لكل من جرؤ على مواجهتها، كانت حادَّةً لدرجة أن داماريس لم تنسها كانت نظرة قاتلة، نفس النظرة التي لا بد أنها نظرتها الآن، نظرة شخص لا يندم ويشعر بالراحة لأنه تحرَّر من ثقلٍ ما.

لم تكن خيمينا تعتني بالكلبة، التي حملت مرَّة أخرى، وكانت لتستمر في الهروب والعودة إلى ما تعتبره بيتها دون الاكتراث لعدد المرات التي تعيدها فيها داماريس.

كان الأمر لينتهي بها وهي تلد في الكشك ومن جديد ستكون هي من عليها القيام على شأن الجراء، فإن الكلبة -إذ كانت أم سُوءٍ مجرَّبة- كانت لتهجرهم، وهذه المرة من يعرف كم كانت ستلد وكم أنثى لن يريدها أحد

عند ذلك كانت ستضطر للإلقاء بهم في الموج، وهو ما يساوي قتلهم، قتل عدة كلاب بدلًا من قتل كلبة واحدة، قد حلَّت بها المشكلة كلها.

كان الموضع الذي تركتها فيه مثاليًّا يقع بعيدًا عن الطرق، مخفيًّا بكثافة النباتات، ولا يمر أحد أبدًا من هناك ناس القرية، حين يرون النسور السوداء، هذا إن كانوا سيركِّزون عليها، سيظنُّون أن الأمر يتعلق بحيوان برِّيٍّ، أبوسوم أو أيل أو حيوان الكسلان، كذلك الذي مات في أحد الأيام بالقرب من المخزن. كذلك، ففي تلك الغابة يكفي ثلاثة أو على الأكثر أربعة أيام لكي يتقلَّص الجسد إلى العظام، التي ستجمعها هي وتلقي بها إلى البحر دون أن يدرك أحد، في الليل حين ينحسر البحر، لكي يحملها بعيدًا جدًا. دعت داماريس أن يصل روخيليو بعد أن تخفي البقايا. وقالت في نفسها متفائلة: بالطبع نعم.

وإن سألت عنها خيمينا، وهو ما ستفعله دون شك في لحظة ما، فستقول لها داماريس إنها لم ترها. وستسألها متصنعةً الحماقة: «لماذا؟»، «وكم لها من الوقت بالخارج؟». ثم ستقول متعجِّبة رادَّة على إجابتها: «كل ذلك!»، «ولم تأتِ للبحث عنها سوى اليوم؟ إنك فعلًا عديمة المسؤولية، من يعلم أين وما حال تلك الكلبة المسكينة، إن كنتُ أعلم أنك ستهملينها هكذا لم أكن لأهديها لك».

الآن ترجو ألا يكون أحدٌ من الجيران ناحية الخليج قد تعرَّف عليها من شعرها الرمادي، أو رآها تصعد الجرف ذلك الصباح، ولعل خيمينا لا تركب رأسها وتصرُّ على الأمر، غاضبةً كاليوم الآخر، أو أسوأ، متَّهمةً كما فعلت مع جيرانها الذين قالت هي -دون أي دليل- إنهم سمَّموا كلبها.

لامت داماريس نفسها قائلةً: لماذا أعطيتها رقم هاتفي؟ لماذا قلت لها إن الكلبة لو هربت فلن تعيدها إليها؟ لما أصرَّت على أنه من مسؤولية خيمينا المجيء وراء كلبتها؟ الآن لم يبق سوى أن تظهر لها تلك السيدة في البيت لكن داماريس هدأت قائلةً: «لا لا»، «لا بد أنها لا تزال سكرى ومخدَّرة مع صبيِّيها».

أخذ المطر الشديد والظلام يخفَّان تقريبًا في الوقت نفسه، ونهضت داماريس حين صفت السماء وأضاءت تمامًا. لم تكن قد نامت قطُّ، لكنها لم تشعر بالتعب. بمجرد أن وصلت إلى الكشك غزتها رائحة البول حرِّيفة ومركزَّة. كانت قد نسيت أن تنظف بركة البول. وبدلًا من تحضير القهوة ذهبت إلى المغسل لتحضر المسحوق وأدوات التنظيف. فركت الأرضية على أربع، وليس فقط المنطقة التي بالت فيها الكلبة، بل الكشك بأكمله. ثم جفَّفته بالممسحة. تنفَّست. بدا لها أن الرائحة لم تقلَّ على الإطلاق، وقبل أن تأخذ في التنظيف مرة أخرى، قررت أن تستحمَّ لترى إن كانت الرائحة آتية منها هي، فإنها في أثناء التنظيف قد لوَّثت يديها، وركبتيها، وسروالها.

ذهبت داماريس إلى المغسل وبدأت في صبِّ الماء على نفسها باستخدام وعاء التوتوما. ظلَّت تحس برائحة البول. فركت كل جسدها بصابون غسل الملابس الأزرق ثم شطفت نفسها. الرائحة لا تختفي. عندها أمسكت بمرآة مستطيلة كانت تستخدمها حين تصفِّف شعرها وتزيل بثورها أرادت أن ترى إن كانت ستجد في تلك المرآة نظرة المرأة التي قطَّعت زوجها، وبدا لها أنها رأت تلك النظرة، وأن الناس سيتعرَّفون عليها ويدركون ما فعلته بعدها نظرت إلى يديها الواسعتين والخشنتين اللتين قتلت بهما كلبة ذات بطن ممتلئ بالجراء، وخُيِّل إليها أنها رأت

علامات الحبل فيهما. مغمومة، كأنها ترجو السماء، نظرت لأعلى. كانت النسور السوداء قد وصلت.

بعضها يطير في دوائر فوق المنطقة التي تركت فيها الكلبة، وأخرى جثمت على أفرع شجرة شبه ميِّتة، لكنها شديدة الارتفاع، بالقرب من شجرة الجوابو. كانت نسور الشجرة منحنية تنظر إلى الأسفل كأنها مستعدة للانقضاض ولا ينقصها سوى أن يعطيها أحد الإشارة. كانت كثيرة، أكثر بكثير من التي تجمَّعت حينما اختفى المرحوم خوسويه أو حين مات حيوان الكسلان. داماريس -مُبلَّلة كما كانت ورائحتها بول- خرجت من المغسل نحو الحديقة والسلالم لترى إن كانوا في القرية قد لاحظوا النسور السوداء.

أطلَّت، لكنَّها لم تستطع رؤية الشاطئ أو المرسى، وهما أكثر مكانين يتركَّز فيهما الناس، ولا حتى استطاعت رؤية البيوت المجاورة للخليج، لأن أول ما رأته عيناها كانت خيمينا على ضفة الجانب الآخر. كان البحرُ عاليًا وهي -بسروالها المُشمَّر- تصعد على قارب صغير. المراكبي -وهو أحد الصيادين الذين يعيشون بجوار الخليج- بدأ في التجديف باتجاه الجرف بينما تحدثه خيمينا دون توقف. ربما كانت تحكي له أي شيء، تفاصيل نميمة في القرية الأخرى أو عجائب الجو في ذلك الصباح المشمس، لكن بدا لداماريس أنها تحدثه عن الكلبة، وأن الصياد يجيبها بأنه رآها تصعد إلى الجرف في اليوم السابق. أرادت داماريس الاختباء، لكنه عندها أشار للأعلى، ورفع كلاهما نظره وظلا ينظران إلى السماء المسودَّة بالنسور السوداء. كذلك رأوا داماريس، التي لم يسعفها الوقت للاختباء ولا لفعل أي شيء. رفعت خيمينا يدها في إشارة قد تكون تحيَّة، وفهمتها داماريس كإشارة تهديد. وشعرت بالضياع.

للوهلة الأولى تأمَّلت فكرة البقاء في مكانها حتى تأتي خيمينا، وأن تتركها ترى يديها ونظرة القاتلة التي في عينيها، وتشم رائحة البول، أن تقبل خطأها والعقاب الذي يستوجبه، لكنها قالت لنفسها إنه لا خيمينا ولا أهل القرية بإمكانهم معاقبتها بما تستحق. لهذا فكَّرت أنه ربما عليها الذهاب إلى الجبل، حافية وليس عليها سوى سروال الليكرا القصير وبلوزة الحمّالات الباهتة، وأن تسير لما وراء المخزن، ومحطة زراعة الأسماك، وأراضي القوات المسلَّحة، والأماكن التي قطعتها مع روخيليو والتي لم يصلوا لها، لكي تضيع كالكلبة وكطفل الستائر نيكولاسيتو، هناك حيث الغابة كانت أكثر بشاعةً وهولًا.

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

تأكد من أنك تقرأ هذه الرواية من قناة ضــاد الرسمية على تطبيق تيليجرام:

تمّ تجهيز هذا الكتاب الإلكتروني
بـواسـطـة:

لجميع الكتب، المجانية والمدفوعة،
وكل ما تشتهيه قريحتك الثقافية.

في قرية من قرى المحيط الهادي الكولومبية، تعيش داماريس وزوجها روخيليو، بين غابة يدفنون فيها خساراتهم، ومحيط يعدهم بشيء قد يأتي. على شاطئ المحيط ترى داماريس الكلبة التي تتبناها عوضا عن ابنة لم تأت قطُّ. تبدأ الأمومة وقسوة الهزيمة والحب والغضب في الظهور في علاقة بين امرأة في منتصف عمرها وكلبة تأتي وترحل في رحلات إلى غابة تحمل الخسارات والأماني بين مجاهيلها اللا نهائية.

سيرة مختصرة للكاتبة:

بيلار كينتانا (كولومبيا، 1972) هي إحدى أكثر الكاتبات تأثيراً وقراءة في أمريكا اللاتينية في السنوات الأخيرة. فازت روايتها "الكلبة" بجائزة السرد الوطنية الكولومبية عام 2018، ووصلت ترجمتها الإنجليزية للقائمة القصيرة لجائزة National Book Award. روايتها الأخيرة "الهاوية" حصلت على جائزة "ألفاجوارا" للرواية. اختيرت عام 2007 في مهرجان هاي فيستيفال الأدبي ضمن قائمة أهم 39 كاتبا وكاتبة تحت سن ال39. عام 2012 كانت كاتبة زائرة بجامعة باوتيستا بهونج كونج.

إخراج وتصميم:
t.me/twinkling4
ISBN 978-9-9228910-3-9
daralrafidain
daralrafidain
daralrafidain دار الرافدين
www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
Dar ALRafidain دار الرافدين